الفصل السادس

ساحات القتال الجهادية الرقمية
العراق وفلسطين

استخدمت منصات جهادية مختلفة الإنترنت فى أنشطة تتعلق بالصراعات فى العراق وفلسطين. ثمة نوع من الاستمرارية بين هذا الفصل والفصل السابق، قد يدل على التفاعل بين ما هو عالمى وما هو محلى. تنطبق الاعتبارات المتصلة بما إذا كان بالإمكان تعريف الأنشطة بأنها إسلامية أو جهادية أو متمردة أو إرهابية أو عراقية أو فلسطينية أو عربية – أو مزيجًا ما من هذه الأوصاف – بطبيعة الحال، اعتمادًا على وجهة نظر المراقب الفردية.

استخدمُ مصطلح "الجهادى" هنا، كما فى الفصل السابق، بحذر للجمع بين مجموعة عريضة من الرؤى والإجراءات والخطابات. ليس الغرض من هذا الفصل التوثيق الزمنى للإنتاج الكامل لشتى المنصات على الإنترنت فى هذه المناطق، لكن لمناقشتها من روح إسلامية محددة. كانت نسبة من مواقع الويب والكتيبات والمواد السمعية البصرية المشار إليها فى الفصل السابق تتعلق بقضايا تتصل بالعراق وفلسطين. وقد يسهم هذا فى إيجاد إطار تفسيرى شامل من خلال المزيد من تحديد السمات الرئيسية للفضاء السيبرى المتعلق بالأنشطة الجهادية فى هذه السياقات.

ساحات القتال العراقية الرقمية

تُعتبر ساحة القتال الرقمية بالعراق وتداعياتها فى العالم الحقيقى من القضايا

البارزة في التحليل والمناقشة المتعلقة بالبيئات الإسلامية السيبرية. كان الإنترنت عنصراً حاسماً في مختلف الحملات المرتبطة بالعراق، لاسيما إنتاج مواد الفيديو ذات التأثير العالمي. تضمنت هذه المواد أشرطة فيديو تظهر عمليات إعدام الرهائن المختطفين، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، إلى جانب المواد التي جرى تصويرها على الخط/الخطوط الأمامية. لكنها أيضًا منطقة من الويب محملة بمختلف الأنشطة، حيث توجد المدونات والصفحات المرتبطة بالعلماء وبمنظمات معينة منبثقة من العراق وبالمصادر ذات المنحى العراقي والخطاب السياسي المحدد الذي يدخله عنصر إسلامي أو لا يدخله.

وقعت العديد من الأحداث التي كُتِبَ عنها في العالم الحقيقي أثناء إعدادي لهذا الفصل وأنا أكتب الآن من قلب العاصفة. كانت هناك صلة متبادلة لبعض الوقت بين

مدخلات مدونتى ومحتوى هذا الفصل. وعندما كنت أكتب فى ٢٠٠٨ بدا لى أن أمامى طريقا طويلا للانتهاء من تحليل الموقف العراقى. كان بإمكانى أن افترض نتائج محتملة، لكن الزاوية العسكرية كانت أصعب فى تحديدها. اللغة مشحونة فى أى تحليل لأى من الأطراف، وتشتعل العواطف، لاسيما فى الفضاء السيبرى. أضفْ إلى هذه المعادلة ديناميات نظم الأخبار المعتمدة على الويب حيث كانت النتيجة فى الكثير من الأحوال صراعًا كاملاً مُورِسَ بتفاصيل جوهرية ومروعة أحيانًا على الإنترنت. قد يُفَسَّر مثل هذا المحتوى عند عرضه على شاشة كمبيوتر بطريقة مختلفة وشخصية بأكثر مما سيكون فى حالة مشاهدته جماعيًا على شاشة التليفزيون. من المؤكد أنه لا يسعنا تجاهل عناصر التفاعل، رغم أنها قد تُصاغ بصورة نمطية أيضًا فى بعض الأحيان.

بالعودة إلى المسألة التى أثيرت فى بداية هذا الفصل، إن هوية أو هويات من يضطلعون بهذه الأنشطة على الإنترنت ذات أهمية كبيرة. هل هم إسلاميون تحديدا أم أكراد أم شيعة أم جهاديون أم سلفيون أم بعثيون أم قاعدة أم قبليون أم سياسيون، أم خليط من هذه العناصر أم لا شىء من هذا إطلاقًا؟ هناك أشكال متباينة داخل كل هذه المصطلحات العامة وفى بعض الأحيان تحولات فى الهويات لا تخطؤها العين. كما أن بعض الشخصيات الرئيسية فى الفصائل الجهادية ليسوا بالضرورة عراقيى المولد. كان ثمة تصادم بين شخصيات أخرى فى حركات «التمرد» فى العراق مع طريقة إدارة العمليات ذات الصلة بالقاعدة، حيث إنها كانت ذات تركيزات قبلية وعلى بينة بالعواقب اللوجستية والأيديولوجية الخطيرة عند استهداف الشيعة. يتمثل التركيز الأساسى هنا على أتباع القاعدة ذوى التوجه السنى.

كانت هناك أيضًا إشارات مضمرة من حيث توازن التغطية، وخصوصا من حيث المقارنة بين النشاط الجهادى ذى الصلة بالقاعدة و"التمرد" الذى لا صلة له

بتنظيم القاعدة. المؤكد أن الكفّة على الإنترنت ترجح لصالح النشاط الأول، رغم أن مواقع مثل "معلومات من العراق المحتل" عملت على تقديم موقف لتمرد عراقي متمركز حول القومية. ويمثل هذا عاملاً عاماً في جميع التغطيات الإخبارية لهذه القضية، وهو عامل لن يأخذه بالضرورة من يتلقون بث الأنشطة العسكرية بعين الاعتبار.

ثمة عامل آخر وهو ما إن كان نشاط الإنترنت يمثل ما كان يحدث على مستوى القاعدة الشعبية؛ وهذا أمر من الصعب تحديده. المؤكد أن نسبة من المحتوى أتت من مصادر عراقية، مثل محتوى الوسائط المتعددة والبيانات "الرسمية"، لكنها وُزّعَت على سيرفرات وفضاء ويب متاح في جميع أنحاء العالم. لم يكن هناك نمط محدد، رغم أن الفضاء المجاني كان خياراً شائعًا، وظهرت مواقع الرفع الموجودة في اليابان بكثافة بين عامي ٢٠٠٥ و٢٠٠٧. يشمل هذا الإنتاج الذي أشير إليه في الفصل السابق باعتباره تجليات الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية وما شابهها من منصات. وبات اختزال المحتوى في المجال الجغرافي نوعًا من الرطانة بشكل متزايد – رغم أنه أسلوب تقليدي من حيث العملية الأكاديمية – في محاولة تقديم نماذج التصنيف الأساسية لشبكات المعلومات المنتشرة التي يتعذر الإحاطة بها.

كان الإنترنت مصدراً مهما لمعرفة التطورات في العراق في أوائل القرن الحادي والعشرين؛ مصدراً كان أنصار الجهاد ومؤيدوه، بالتأكيد في المراحل الأولى لغزو العراق، أكثر وعيًا به بأكثر من مؤيدي قوات التحالف التي تهيمن عليها الولايات المتحدة. ليس هنا مقام تفحص المناهج والأهداف الاستراتيجية لجميع الأطراف بل إنه ببساطة لا يتعدى استعراض كيفية تسهيل الإنترنت لقنوات المعرفة المتعلقة بالأنشطة وتزويدها بالمعلومات لتصبح جزءًا من الجهاد العسكري. عمل النشطاء على ضمان تسجيل الانتحاريين على شرائط ڤيديو قبل تنفيذ عملياتهم، وتصوير استشهادهم أيضًا، وتصوير عمليات الإعدام مع مراعاة الجودة التقنية، وصدور

البيانات عن الشخصيات الرئيسية، غالبًا قبل معالجة وسائل الإعلام الرئيسية للخبر أو كوسيلة لتوفير منظور إخبارى بديل. كما كان يجرى إرسال المحتوى بالبريد الإلكترونى أيضًا وتوزيعه على قنوات وسائل الإعلام فى شكل وسائط متعددة وبيانات محظورة رسميًا. ذكر كيميدج وريدولفو جهاديين من سنَّة العراق نشروا مجموعة كبيرة من الصور، والبيانات، وأشرطة الڤيديو فى مدة يومين فى ٢٠٠٧، تراوحت بين النشرات الصحفية أو البيانات العملياتية أو المعلومات اللوچستية أو الدعاية الدينية أو مواد فى هيئة مجلة أو كل ذلك معًا. قدَّم كيميدج وريدولفو تحليلاً للبيانات وفقًا لنموذج تصنيفى، وطرحا تصنيفيا لأنشطة العمليات وأشكال الميديا إلى جانب هويات جماعات "المتمردين" المحددة التى تنشر المحتوى على موقعين رئيسيين. ليس هذا إلا جزءًا من الصورة المعقدة، يضاف إليها توزيع كمية هائلة من المحتوى من قِبَل الأطراف والمصالح الأخرى.

وفَّر الإنترنت أيضًا من الناحية العملياتية سبل تنظيم وتسهيل الإجراءات اللوچستية والتمويل والدعاية للجماهير المحلية والإقليمية والعالمية من جميع الانتماءات الدينية بدقة. سعى الكثير، لكن ليس كل مقدمى المحتوى، إلى تسليط ضوء دينى على موادهم باستخدام رموز ولغة دينية. كانوا يعملون على ضمان توزيع المحتوى، بسرعة بطريقة تجنب بها الرقابة (حتى التوزيع المبدئى على الأقل) وقدموه فى هيئة أشكال عالمية يسهل نسخها. أتيحت المعلومات بشأن أماكن المواد من خلال قوائم البريد الإلكترونى، ولوحات المناقشات، والسيرڤرات المركزية. هناك إشارة إلى "المصداقية"، لكنها ليست مضمونة دائمًا، باستخدام شعارات محددة ومعايير تصميم المواقع ومن خلال طبيعة المحتوى الجرافية التى يصعب تقليدها. استحوذت الطبيعة المباشرة للڤيديوهات على اهتمام وسائل الإعلام والحكومات الدولية بل وقطاع من الجمهور المسلم العالمى أيضًا.

شكَّل مثل هذا المحتوى جزءًا من خلفية أوسع لتصوير العنف الذى يحدث فى

العراق بوجه عام، ولاسيما تصوير ضحايا التفجيرات بالفيديو (من كل الأطراف). يمكننا أن نتساءل إلى أى مدى يتحصن جمهور مشاهدى التليفزيون، خصوصًا عندما يظهر المحتوى المعروض على قناتى الجزيرة والعربية أكثر وضوحًا وصراحة فى إظهار العنف (ونتائجه) من وسائل الإعلام الغربية. ربما شعر منتجو أشرطة فيديو الإعدام أنه كان عليهم الوصول بدرجة العنف إلى مستوى معين لتحقيق الأثر المطلوب. لم يُبْدِ جمهورهم بالضرورة تعاطفًا جامعًا مع مثل هذه المواد، وأعرب الكثيرون عن ذلك على الويب. ربما عانوا بشكل مباشر أو غير مباشر بسبب وجود هذه الأفلام والدعاية التى استقطبتها، لاسيما فى سياقات الأقليات المسلمة.

ثمة اقتراحات مفادها أن بعض الجهاديين المحتملين صاروا متطرفين من خلال المحتوى الاستفزازى والعنيف وأنهم سيقوا إلى طلب المشورة بل والعضوية عبر فضاء الويب ذى الصلة. هناك إشارة أيضًا إلى وجود اعتقاد حتى بين بعض أنصار القاعدة وأتباعها أن لدى بعض المحتوى على الإنترنت القدرة على تحويل التعاطف والدعم المحتملين بعيدا عن القضايا الجهادية، خصوصًا عندما يكون الضحايا مسلمين آخرين ويُعرض مصرعهم ضمن المواد التى تبث على الويب. بات موفرو المحتوى ومنظموه على الإنترنت لاعبين مهمين فى كيفية التعبير عن الأنشطة الجهادية أمام العالم الأوسع، حيث صاروا جزءًا من الخطاب على الإنترنت الذى يعرض خصومهم، فضلاً عن المتعاطفين معهم، وغيرهم من المراقبين. وتشكل قدرة قوات الأمن على "التسلل" ومراقبة مثل هذا المحتوى أيضًا جزءًا من معادلة المعرفة.

من المحتمل أنه كان لتوقف موفرى المحتوى عن الإنتاج – المؤلفين سواء أفرادًا أو جماعات والمترجمين والناسخين والمصممين والقائمين على فلترة المعلومات والمهوسين بالتقنية – سواء نتيجة لوقوعهم فى الأسر أو الوفاة أو الرقابة على مزودى خدمات الإنترنت، كان لهذا أثره على نوع الأنشطة التى كانت تحدث فى

"العالم الحقيقي". ويتطلب وضع الأفلام الرقمية على الإنترنت، فى هيئة نُسخ تخضع للمونتاج إلى جانب وضع الشعارات والبيانات، وجود سلسلة من الوسطاء. ومن المحتمل أن غيابهم أو توقفهم القسرى كان له أثرٌ على توقيت العمليات.

بدا أن الناشطين فى العمليات كانوا على وعى عالٍ بإمكانيات استخدام وجودهم على الويب لتبرير أنشطتهم من خلال صور ولغة دينية. كان توفير شريط ڤيديو على الويب وغيره من وسائل الإعلام لحظة حدية ذات أهمية، تتيح انتقالاً من المؤيِّد إلى الشهيد والعكس صحيح. تيسر ذلك من خلال استخدام أدوات فاعلة تكنولوجيًا بصورة متزايدة (فى كثير من الحالات) من إضاءة وموسيقى وصوت ومونتاج وخلفية والرفع على موقع مناسب. وفيما كانت الإصدارات السابقة فى معارض صور وڤيديوهات الشهداء تنشر بأثر رجعى فى أغلب الأحيان حيث كانت تعرض عادةً ناشطين قضوا منذ فترة طويلة، أصبحت الإصدارات الآن ڤيديوهات استباقية تجهز بصفحات معدة للنشر على الإنترنت مباشرة بعد تنفيذ العملية.

للمشهد العراقى أهمية كبيرة فى هذا الصدد، حيث أصبح سياقًا للتكثيف المطلع لتطبيقات التقنيات المستندة إلى الإنترنت للدعوة للجهاد. وتماشى ذلك مع تحسينات تكنولوجية متوازية مثل إمكانية الوصول إلى الاتصالات السلكية واللاسلكية وعرض النطاق الترددى، ومونتاج أفلام الڤيديو، وفضاء الويب المجانى، وأدوات عدم الكشف عن الهوية، والمعدات الأرخص، وزيادة الإلمام بالتقنية فى أوساط أهم الجهاديين وجمهورهم. أتاحت كثافة الأنشطة المبنية على الويب والمتعلقة بالعراق، بطرق عديدة استنبات الأبحاث وتنميتها. قد لا يتمتع بعض المحتوى ببريق التكنولوجيا الرفيعة التى تمتاز به منتجات الوسائط المتعددة، لكن المؤكد أن هناك فرصًا للاستفادة من حزم برامج المونتاج الرقمية والرسوم المتحركة، وشرائح العرض، وتكنولوجيا البث.

هنا أيضًا يجب أن نستحضر مسألة التسويق الڤيروسى بخاصة، كما أن دور

البوابات المحددة حيوى فى تسهيل تسويق الأنشطة الجهادية فى العراق عالميًا ومن شخص لآخر. اكتسب ربط هذه المواد بالقضايا الإسلامية أو السياسية الأخرى أو كليهما أهمية أكبر مع ظهور الصور الفوتوغرافية التى التقطت لإساءة أفراد الجيش الأمريكى معاملة الأسرى فى سجن أبو غريب على الإنترنت.

تحدد ظهور عناصر الجهاد الإلكترونى المرتبط بالعراق، عقب غزوه من قبل قوات التحالف فى ٢٠٠٣، من خلال سلسلة من البيانات والتصريحات العنيفة والمصممة بأسلوب تفصيلى على الإنترنت. وكان لهذا علاقة مباشرة بخلق واجهة للأردنى أبى مصعب الزرقاوى (المعروف أيضًا باسم أحمد فضيل نزال الخلايلة [١٩٦٦- ٢٠٠٦]). وكان ذلك بالتعاون مع منصاته المرتبطة به وهى جماعة التوحيد والجهاد وقاعدة الجهاد فى بلاد الرافدين.

لطبيعة هذه الأنشطة علاقة مباشرة بتواجد تكنولوجيا المعلومات، ولاسيما الطرق التى عملت من خلالها على التوزيع السريع للرسائل الدينية والسياسية المرتبطة بهذا النوع من العمل (عن طريق أنصارها). فى الثمانينيات وحتى منتصف التسعينيات، كان من المحتم أن تكون طبيعة تلك الرسائل وانتشارها غير عملية ومستحيلاً فى السبعينيات، بل وربما أنها مثلت تحديًا لوجهات النظر الإسلامية الأخرى، خاصة المنصات الأقل صخبًا والأكثر هدوءًا سياسيًا الساعية إلى إيجاد حلول بديلة للقضية العراقية، وأيضًا تلك التى تمتاز بوعى أقل بالتكنولوجيا.

لابد من التأكيد على أن المنهجيات التى استخدمها الزرقاوى وغيره تجاوزت المعيار الطبيعى وكانت كثيراً غير مسبوقة فى نطاقها. ولا يزال التساؤل قائمًا حول ما إذا كان الزرقاوى، من خلال تطويره لمكانته بالنسبة للبعض بوصفه "عالمًا" أو رجل دين عبر نشاطه على الإنترنت، قد حدد هذا النشاط كعنصر من عناصر "الاجتهاد" (بالمعنى السنى لتفسير شخصى وبرجماتى للمصادر الإسلامية

استجابة للقضايا المعاصرة). لم يتلقَ الزرقاوى تدريبًا تقليديًا فى العلوم الإسلامية، وبالتالى سيكون فى نظر البعض غير مؤهل لإصدار تصريحات أو فتاوى دينية.

لم تكن الناحية العلمية هى التى جذبت الانتباه العالمى إلى الزرقاوى؛ لكنه اكتسب مكانته باعتباره متمرداً بالنسبة للبعض أو مقاتلاً من أجل الحرية بالنسبة للبعض الآخر، رغم أننى لا أنوى تكرار الآراء القديمة عن المكانة هنا بالتفصيل. أهم عمل أدى إلى تسارع واجهة الزرقاوى، سواء على الإنترنت أو فى العالم الحقيقى، هو اغتيال نيكولاس بيرج فى ٢٠٠٤. من المفارقات المؤكدة هنا أن بيرج كان مهندس اتصالات أمريكياً سافر إلى بغداد لتركيب معدات شبكات لاسلكية للإنترنت وتعزيزها. نُشِرَ أسرْ بيرج وإعدامه لاحقًا عبر الإنترنت عن طريق رفع ملفات ڤيديو على موقع منتدى الأنصار على الويب.

أحدث هذا أثرًا مدويًا فى جميع أنحاء العالم، رغم أن هذا العمل لم يكن الأول من نوعه؛ حيث كان لعمليات الإعدام المصوَّرة بالڤيديو سوابق كان لابد من الإشارة إليها. بيَّن قتل أنصار القاعدة الصحفى دانيال بيرل فى كراتشى فى ٢٠٠٢ السبل التى يمكن من خلالها للويب أن يتجاوز منافذ الميديا التقليدية ويفتح آفاق الدعاية من أتباع القاعدة إلى الجمهور الأوسع، بدءًا من المحللين إلى المتفرجين. ذكرت إحدى الروايات أن "فيلم ڤيديو مقتل بيرل المروع، والذى شوهد فى جميع أنحاء العالم عبر الإنترنت، كان فى واقع الأمر إعادة بناء جزئية لما حدث قبل لحظات قليلة، كما قيل للضباط ... أخطأ عامل الكاميرا حين فاتته لحظة وفاته، والتى أعاد تمثيلها قَتَلَتُه بعد ذلك، قبل قطع رأسه".

وبالمثل، تمنح عمليات إعدام الجنود الروس المصوَّرة بالڤيديو، والتى تُوَزَّع على مواقع الويب الشيشانية، واجهة دعائية للمجاهدين لم يحققها إنتاجهم المطبوع. بيَّن مقتل بيرج الذى نُشِرَ على نطاق العالم كيف استطاع مزيج متواضع تكنولوجيًا نسبيًا من كاميرا وكمبيوتر وشبكة إنترنت، عند توصيله بالقنوات المناسبة، جذب

جمهور عالمى. تمتاز القنوات نفسها بأنها مطلعة. ظهر الڤيديو على عدد من المواقع غير الإسلامية ذات الطبيعة المتلصصة أو المتوجهة نحو الرعب أو كليهما، من بينها صفحات لأحد أصحاب نظرية المؤامرة. كما جرى تداول روابط لروابط على الويب بسرعة فى غرف الدردشة. وأبطل الاستنساخ السريع للڤيديو محاولات لإغلاق القنوات الأصلية التى تعرضه: "الڤيديو ذو نوعية رديئة، ويبدو من علامة الوقت أن هناك فارق ١١ ساعة بين انتهاء المهاجمين من بيانهم ودفع بيرج إلى أسفل حتى يتسنى لهم ذبحه. ويشير هذا ضمنيًا إلى وجود تأخير بين هذين الجزئين من الشريط المنشور على الموقع على الويب".

أسس الڤيديو شكلاً تقليديًا لجرائم القتل الأخرى ودفع إلى تحسين نوعية الإنتاج، إضافة إلى الارتقاء بجودة الشعارات والموسيقى، والصوت والصورة، إلى جانب بث أفضل. تسبب مقتل بيرج فى طفرات فى حركة المرور على عدد من مواقع الويب والمدونات التى ذكرته، من بينها صفحاتى نفسها، رغم اختيارى عدم الارتباط بالعنوان على الإنترنت مباشرة. غمر الموقع الأصلى طوفان من الزيارات وأُغلق فى النهاية من قبل مزود خدمات الإنترنت الماليزى. أثار شريط الڤيديو جدلاً بل وفضولاً ربما بنفس القدر.

مَثَّلَ مقتل بيرج الذى اقترن بالطرق التى بها جرى تداول الصور من سجن أبى غريب على الإنترنت تحولاً كبيرًا فى تطور البيئات الإسلامية السيبرية لم يَغِبْ عن بال المعلقين الآخرين. ذكرت صحيفة "البحرين تريبيون ديلى": "قطع رأس الرهينة الأمريكى - على الهواء-، أيًا من كان وراءه، عمل بشع، ويدانيه فى فظاعته سوء المعاملة النفسية والمعنوية والجسدية للسجناء العراقيين". ويعتقد المؤرخ فليب نايتلى أنه يمثل "عصرًا جديدًا فى برويجندا زمن الحرب". بدأ عدد من نظريات المؤامرة يظهر على السطح حيث شككت بعض الدوائر فى صحة شريط الڤيديو، وتضمنت اقتراحات بوفاة الزرقاوى - وهى النقطة التى تلقفها البعض فى غرف المناقشة.

ومن خلال الاستفادة من تجاربنا السابقة، كان من الواضح أن الأمر لم يكن كذلك، لكنه لم يوقف استمرار الحوار حول جوانب الڤيديو المختلفة، وهو الحوار الذى لا يزال يثير الاهتمام على الويب رغم السيل المتواصل من الضحايا فيما بعد. يمكن أن نجد أيضًا الڤيديو والتعليقات التى "تحتفى" بالإعدام على لوحات المناقشة والمدونات، والتى كثيرًا ما تُستمد من مواقع رئيسية بأسلوب القص واللصق.

ظهرت تصريحات وبيانات أخرى من الزرقاوى بانتظام على مجموعة متنوعة من مواقع الويب والمنتديات، تشير إلى دور هذا الوسيط الأساسى كقناة فورية لعرض بياناته وڤيديوهاته "الرسمية"، وشملت هذه المجموعة تسجيلات لأعمال الانتحاريين. توجد فى بعض الأحيان منافسة على الإنترنت حول المسئولية عن الأعمال الجهادية. ومن الأمثلة الأخرى للإلمام بالناحية التقنية، دارت مناقشات أيضًا حول كيفية الاستفادة فنيًا من الڤيديوهات بغرض "تحسين" الجودة الفنية السمعية والبصرية على الإنترنت. ووفقًا لأحد التقارير، كانت حركة التوحيد والجهاد تستخدم تكنولوجيا بث الڤيديو المتاحة تجاريًا والتى طورتها إحدى الشركات البريطانية. وأدى ذلك إلى اهتمام بالغ بكيفية استخدام الزرقاوى والتوحيد والجهاد للويب كوسيلة جذب المزيد من المجندين والتمويل. كان الجانب السابق أكثر شفافية بطبيعته، مع تحميل الويب وما يتصل به من غرف الدردشة بلغة من شأنها جعل أى حملة جهادية جذابة لبعض القراء.

أدلى الزرقاوى أيضًا ببيانات تركز على قطاعات معينة من الدوائر المسلمة مثل تركيا. ارتبطت قضية الجندى الأمريكى الذى يبدو أنه اختطف فى العراق، وعاد للظهور فى وقت لاحق مع عائلته فى لبنان، بعنصر الإنترنت أيضًا، حيث ظهرت مناقشات (قبل عودته للظهور مرة أخرى) على منتديات الإنترنت حول شرعية احتجازه كرهينة. وأضفت الادعاءات التى ظهرت لاحقًا أن إعدامه كان على الإنترنت فقط بعداً مثيراً. بيَّن اختطاف الرعايا الأجانب الآخرين فى العراق

وعودتهم للظهور مرة أخرى على الإنترنت تطوراً وتعقيداً متزايداً فى استخدام هذا الوسيط وإدراكًا ساخرًا لكفاءته حينما يعرض صوراً للعنف على جمهور عالمى.

تجلى الإدراك بإمكانية زيادة زخم احتجاز الرهائن عن طريق استخدام عروض فى حلقات للفيلم على الإنترنت فى كامل صوره من خلال اختطاف المهندس البريطانى كين بيجلى وقتله. فى هذه الحالة بالذات، أدلى بيجلى بعدة بيانات موجهة إلى الكاميرا مباشرةً. وسجِّل أحد تلك البيانات قبيل إعدامه. استهدفت بعض تعليقات بيجلى تصريحات أدلى بها رئيس الوزراء تونى بلير على وجه التحديد (أو كانت ردود فعل لها). وشملت هذه التعليقات مناشدات بيجلى للامتثال لطلب رهينة الزرقاوى، وكان من بينها إطلاق سراح السجناء.

بيجلى واحد من مجموعة من ثلاثة رهائن غربيين كان مطلوب القبض عليهم. قُتِلَ الآخران، وهما الأمريكيان جاك هنسلى ويوجين أرمسترونج أولاً. كما وضعت فيديوهات ذات صلة على الإنترنت. وباءت حملة على الإنترنت سعت للإفراج عن الرهائن بالفشل، ووضعت روابط لبيانات أصدرها مسلمون بريطانيون بارزون، فضلاً عن شخصيات عالمية مثل ياسر عرفات والزعيم الليبى معمر القذافى، لكن كان مصيرها الفشل أيضًا. داهمت الشرطة الهولندية منزل بول شقيق بيجلى وصادرت بيانات جهاز الكمبيوتر الخاص به بسبب اتصالات مزعومة مع الزرقاوى. كانت هناك اتهامات بأن وسائل الإعلام بالغت بشأن حادثة الاختطاف، وربما أدى هذا إلى دعم أنشطة الزرقاوى، فيما اُتهمت السلطات البريطانية بعدم القيام بجهد كافٍ لإنقاذ كين بيجلى. وُصِفَت هذه السلسلة من الأحداث بأنها "لعبة بوكر غامضة": "ذكر أندرو كاين، وهو جندى سابق بقوات الطيران الخاصة ويعمل حاليًا مستشارًا أمنيًا فى بغداد: – من الواضح أن الزرقاوى لديه وسيلة فاعلة للغاية لمراقبة وسائل الإعلام الدولية والإنترنت؛ فهو يلتقط رد فعل الأُسَر فى البلاد، ويستغله. هذا هو الإرهاب الإعلامى –".

وقع تسلسل مشابه للأحداث فى عملية اختطاف المواطنة العراقية المولودة فى بريطانيا وعاملة الإغاثة مارجريت حسن وإعدامها على ما يبدو فى ٢٠٠٤. نُشِرَ فيديو مارجريت حسن المستمد من الإنترنت جزئيًا فى أقسام من الميديا العالمية، ليولِّد ردة فعل صاخبة، لاسيما فى المملكة المتحدة. كما ظهر أيضًا فيديو لاختطاف صحفيين فرنسيين طالت مدته على الإنترنت. وأعلن عن جريمة قتل الدبلوماسى المصرى رفيع المنزلة إيهاب شريف فى العراق فى يوليو ٢٠٠٥ من خلال الإنترنت، عن طريق متحدث رسمى بارز. "عوقب" الشريف بسبب "جرائم دينية" ولأنه يمثل "حكومة مستبدة".

واكب تغيير التوحيد والجهاد لاسمها لاحقًا إلى تنظيم قاعدة الجهاد فى بلاد الرافدين فى أكتوبر ٢٠٠٤ زيادة فى البيانات التى تظهر على الإنترنت، مثل تلك البيانات المتعلقة بذبح "السائح" الياباني شوسى كودا. ادعت أنصار السنة مسئوليتها عن اغتيال مسئولين كبار فى بغداد، إلى جانب إعدام عمال أجانب وسائقين وأفراد فى قوات الأمن العراقية. عمل الخبراء السوسيولوجيون والنفسيون على التنظير للأثر الذى قد تحدثه مثل هذه الفيديوهات على مختلف المشاهدين: "الإرهابى قد يصبح قاتلاً نتيجة لمشاهدة العنف يحدث أمام عينيه أو رؤيته على شاشة التليفزيون، كما يقول الباحثون. القول بأن الإرهابيين شبان ضعفاء منعزلون مصابون بالبارانويا أو اضطرابات الشخصية الحدية ليس إلا أسطورة".

من الجلىّ أن التداول شبه الفورى لصور العنف بشكل مباشر من مصادر جهادية كان له أثر عندما بدأت تلك الصور نفسها فى الظهور فى نشرات الأخبار فى جميع أنحاء العالم. تحددت حملات و"انتصارات" معينة من خلال إطلاق ملفات فيديو عبر الإنترنت مضمونٌ جذبها لانتباه وسائل الإعلام الإقليمية والعالمية، فضلاً عن جمهور مخلص من مؤيدى الجهاد على الإنترنت. وكان إطلاق "بركان الفلوجة" فى يونيو ٢٠٠٤ مثالاً بارزًا جمع بين الأناشيد، وفيلم عن الهجمات على المركبات

العسكرية الأمريكية، وأشرطة ڤيديو عن "الشهداء" الجهاديين. كما أظهر الڤيديو أيضًا مقتل مقاولين أمريكيين عُلِّقَت جثثهم على أحد الجسور. فتح التداول المعولم لهذا المحتوى وغيره من المحتويات ذات الصلة، والتى تُنْشَر فى وسائل الإعلام، الباب أمام التكهن فيما يتعلق بأثر ذلك. من الواضح أن هناك آثارًا قصيرة ومتوسطة وبعيدة المدى على مستويات عديدة لإنتاج مثل تلك الصور واستهلاكها.

يمكننا القول إن هناك حاجة إلى فعل واعٍ وسعى حثيث للبحث عن أكثر المواد عنفًا على الإنترنت. وهذا فى حد ذاته ليس عملية سهلة دائمًا إذا لم يكن مستخدم ويب الفرد يعرف نقاط الدخول المعتادة وغرف الدردشة التى يمكن أن تظهر فيها مثل هذه المعلومات. ومع ذلك، فإنها تُوَزَّع من خلال قنوات أخرى، تُنْسَخ على أسطوانات سى دى ودى فى دى عراقية لتوزيعها فى أماكن تشمل "الأسواق" فى العراق وأماكن أخرى. حاولت قوات الأمن العراقية قمع عمليات البيع هذه فى أوقات مختلفة، لكنها لم تحقق إلا نجاحًا محدودًا، حيث يعتمد عليها البائعون لتوفير مصدر منتظم للدخل. الواضح أنه لم تكن هناك مخاوف بشأن حقوق التأليف والنشر، لتظهر هذه الڤيديوهات إلى جانب غيرها من المنتجات. ويمكن لهذه الأفلام أيضًا أن تتسرب إلى وسائل إعلام أخرى مثل الهواتف التى يمكن تصفح الويب من خلالها.

تبرهن أمثلة لأنواع المواد التى ظهرت بانتظام على الإنترنت ما قد تتجاهله وسائل الإعلام التقليدية. من بين هذه المواد شريط ڤيديو لهجوم انتحارى يدعى أنه قتل ثلاثة جنود بريطانيين، ويوجد على صفحات "التجديد" لمحمد المسعرى. كانت الجماعات المسلحة حريصة على وضع صور لضحاياها على الإنترنت. وسجل تقرير شاهد عيان للصحفية هالة جابر كيفية تحليل المقاتلين ومؤيديهم فى الفلوجة لأشرطة الڤيديو هذه، فى بعض الحالات بنفس الطريقة التى يمكن لمشجعى كرة القدم مناقشة الأهداف فى مباراة يبثها التليفزيون.

ظهرت مجلات وبيانات رسمية محددة تركز على العراق كجزء من هذا الإنتاج للمواد على الإنترنت. كان جيش أنصار السنة نشطين على الإنترنت، حيث كانوا ينتجون فى البداية مواداً مرتبطة بحملات فى شمال ووسط العراق. وكان لهم انتماءات تنظيمية وعضوية مع جماعة أنصار الإسلام؛ كان ذلك نتيجة لاندماج بين قوات جند الإسلام، التى يقودها أبو عبد الله الشافعى، والحركة الإسلامية فى كردستان بقيادة الملا كريكار فى ٢٠٠١.

فى ٢٠٠٣ اتهمت الحكومة الأمريكية أعضاء فى جماعة أنصار الإسلام بحماية الزرقاوى، كما اتهمها وزير الخارجية كولن باول بوجود صلات بينها وبين صدام حسين. فى بعض الأحيان، تبدو هذه المنظمات مترادفة، خاصة على الإنترنت، بالرغم من أن أعضاءها لا يشتركون دائمًا فى التطلعات الأيديولوجية نفسها. تنشر تلك الجماعات فى كثير من الأحيان مواد وتنشئ روابط لمواد متماثلة على النت، وتتبادل المنصات ومحتوى الإنترنت. أما الصوت المهيمن فيما بينها فهو لأنصار السنة، التى تضع روابط لخطب على الإنترنت يُزعم أنها للملا كريكار.

كان كريكار المقيم فى النرويج منظراً دينيًا وسياسيًا كرديًا قاد جماعة أنصار الإسلام قبل (وأثناء) المنفى. ذكرت الشرطة النرويجية التالى: "كان كريكار نشطًا أيضًا فى المجموعات النقاشية على الإنترنت، وكان يبث خطبه عبر الإنترنت إلى أكثر من ١٠٠ من أتباع أنصار السنة فى آن". أُحتجز كريكار على ذمة التحقيق فى النرويج بشأن صلات مزعومة مع مفجرين انتحاريين، حيث ركز المحققون على ما كان يبثه عبر الإنترنت. وفى ٢٠٠٧ واجه طرده من النرويج. قدمت جماعة أنصار السنة نفسها من خلال سلسلة من البيانات، ومواقع الويب، والوسائط المتعددة، والمعلومات اللوجستية، مستخدمة لغة الخطاب الإسلامى لتبرير أنشطتها. كان من أمثلة النشر السريع البارزة نشرها لمواد الڤيديو المرتبطة بهجوم على المعسكر الأمريكى فى الرمادى.

باتت وسائل الإعلام على الإنترنت إضافة مهمة لأنشطة العالم الحقيقي، حيث تتبادل المنصات الرئيسية النشر، والروابط وصقل صورتها عن كثب. لا يزال المدى الذى كان الأتباع "يتصفحون" فيه "ذاتهم" موضع تساؤل، لكن منظمة الزرقاوى راقبت بشكل واضح وسائل الإعلام الأخرى عن كثب، حيث انتقدت قناة الجزيرة لنقلها "معلومات مغلوطة". كما استخدمت النت أيضًا من أجل تسهيل عمليات الاختطاف والتحقق من الهويات. تم اختطاف صحفى آخر هو سكوت تايلور حينما تأكدت هويته عبر النت. وفى بعض الحالات، يطلق أنصار المختطفين وأسرهم مواقع على الويب فى محاولة لإطلاق سراح ذويهم، وبالتالى ينشئون سلسلة من الأنشطة والنداءات والمفاوضات على الإنترنت.

لفت إنتاج المنصات ذات المنحى الجهادى على الإنترنت وذات الصلة فى العراق انتباه وسائل الإعلام فى العالم. أعرب البعض عن مخاوفه بشأن وجود مواقع على الويب، وكانت من بؤر الاهتمام فى ٢٠٠٥ استخدام ٣٥٧ شركة استضافة مواقع فى هولندا كمنصة للمواقع الجهادية. سلِّط الضوء على دور تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى صعود الزرقاوى عندما وردت إشارات ضمنية بشأن حيازة جهاز الكمبيوتر الخاص به فى إبريل ٢٠٠٥، رغم أنه لم يجرِ الكشف عن عمق المحتوى المستمد من القرص الصلب بشكل كامل. ولم يبدُ أن هذا الأمر كان له أى تأثير محدد على نشاطاته أو تصريحاته عبر الإنترنت، والتى يبدو أنها أُطلقت من خلال وسطاء.

فى الشهر نفسه، أطلق الزرقاوى موقعًا كرديًا على الويب بعنوان "بجى جهاد" أو "الجهاد الحى" المرتبط بمنصة أنصار السنة. كان ينشر البيانات والبث السمعى بانتظام، ويشجع على العمل وتبرير الحملات باسم الإسلام. وكان لأنشطة التعزيز على الإنترنت هذه أثر نفسى عميق على القراء عن طريق الإيحاء بأن الزرقاوى ما زال حيًا ونشطًا، حتى بعد الهجوم الذى كاد يؤدى إلى القبض عليه.

أطلقت سلسلة من ڤيديوهات الإعدام من الزرقاوى وأتباعه تعرض استجوابات وبيانات من الضحايا (العراقيين ومجموعة من جنسيات أخرى)، ومقتلهم إثر إصابتهم بأعيرة نارية أو ضربات سكين. كان من بين الضحايا جنود وموظفون دبلوماسيون وموظفو العمل الخيرى ومقاولون ومدنيون؛ وكان من بينهم مسلمون من خلفيات دينية مختلفة، وكذلك من أتباع الأديان الأخرى. قُتِلَ بعض الضحايا بالداخل فى موقع "الاستوديو"، وتظهر وراءهم خلفية من لافتات مرتبطة بالزرقاوى. بينما جرى تصوير آخرين فى الهواء الطلق، بل حتى فى "فضاء عام" واضح – مثل التصوير فى الشارع الذى يظهر فيه المارة. تدفقت هذه الأفلام، مصحوبة بفيلم للهجمات الانتحارية، على الإنترنت عن طريق شتى لوحات المناقشة ومواقع الرفع.

ظهرت فى أماكن أخرى على نفس المواقع صور وبيانات من "الشهداء" الذين قاموا بعمليات، وهى جزء من ظاهرة مواقع "الشهيد" على الويب: "يحقق شباب مثل فهد [وهو جهادى سعودى قُتِلَ فى العراق فى ٢٠٠٤] من خلال مواقع الويب الإسلامية وصناعة البروباجندا مكانة أسطورية كنجوم الروك؛ إذ توضع صورهم على الويب، وتعرض مآثرهم بصورة جميلة، ويكتب أقاربهم والغرباء قصائد عن بطولاتهم. ويخلق هذا دورة استشهاد يقرأ قصصهم فيها شبان آخرون لا يهدأ لهم جانب يستمدون من تلك القصص الإلهام والغاية ويقررون أيضًا التطوع للموت فى العراق".

شكَّلت بيانات الجهاد ومذكراته فرصة ساعدت الزرقاوى فى تجنيد المجاهدين، وإن كانت هناك إشارات توحى بأن الدعم اللوچستى المالى كان أكثر أهمية من المقاتلين غير المدربين. أُستخدم الويب أيضًا كأسلوب لمحاولة إثناء المجاهدين عن المشاركة فى العمليات "الديمقراطية" المرتبطة بمختلف الانتخابات فى العراق. جرى توجيه إنتاج الزرقاوى، فى بعض الأحيان، نحو جمهور محدد. وهكذا، أصدر الزرقاوى فى يوليو ٢٠٠٥ بثًا (فى هيئة ملف صوتى) داعيًا النساء للمشاركة فى

الجهاد: "جاءت الخطبة التي استمرت ساعة كاملة، ونُشِرَت على منتديات الإنترنت الإسلامية، بعنوان «الدين في انحدار، وأنا ما زلت على قيد الحياة». ويتساءل الزرقاوي في إشارة إلى النساء المسلمات «ماذا فعلتن لهذه الأمة؟ ألا ترينْ الرجال وهم يمتطون صهوة جيادهم ويحملون السلاح للجهاد. فلمَ لا تحرضن أزواجكن على القتال في الجهاد ضد الكفار؟»".

لكن لابد من إعادة قراءة هذه المواد داخل سياقاتها الإقليمية والعالمية، وكذلك داخل العراق. كان اللاعبون الرئيسيون داخل شبكات كالقاعدة وأنصار السنة، على سبيل ذكر كيانيْن كمثالين على تلك الأنشطة، على وعيٍ تام بالعناصر والفرص العالمية التي تتوفر من خلال عرض أنشطتها على الإنترنت. وهذا قد يعكس خبرات أعضائها داخل البلدان المختلفة، والخبرة الشخصية واستخدام تكنولوجيا الكمبيوتر. هذا لا يعني بالضرورة أن الزعماء يجلسون على أجهزة اللابتوب الخاصة بهم، ليؤلفوا المحتوى بأنفسهم، رغم أن ما يُنشر يخرج باسمهم. وفَّر النمو في مجال الإلمام بالمعلومات والوصول إليها جيلاً (لا يقيم بالعراق فقط) على دراية بالإنترنت والفرص التي يتيحها للانتشار والحصول على الدعم اللوجستي.

ينعكس الإلمام بالمعلومات من خلال بذل جهود متواصلة لوضع محتوى لوجستي على الإنترنت وإتاحة الوصول الفوري إلى الفيديوهات والبيانات والمحتوى التفاعلي. ومن الأهمية أن نتساءل حول مدى تحوُّل التفاعلية على الإنترنت من خلال مواقع الويب، وغرف الدردشة، ورسائل البريد الإلكتروني إلى أنشطة في العالم الحقيقي، أو أنشطة متزامنة معها. علينا أيضًا أن نتفحص مرة أخرى الأسئلة الرئيسية في هذا الميدان: هل يمكن أن تسمى مثل هذه الأنشطة أنشطة "إسلامية"؟ وربما يمكن طرح هذا السؤال بالمقلوب: هل ينبغي ألاَّ تكون الأنشطة على الإنترنت إلا أنشطة إسلامية في اتجاهها، على الأقل بالنسبة لأهم شخصياتها على الإنترنت؟ قد يقول البعض إن ما يقدمونه مزيج بين عناصر عراقية وإسلامية محددة. بينما قد يرى

البعض الآخر أنها عناصر خاصة بشبه الجزيرة العربية بشكل أساسى تَستخدم بطبيعة الحال لغة دينية عربية إسلامية كوسيط إلى جانب امتدادات «pgp» و«xml». ليست معتقدات الشخصيات الرئيسية الدينية الفردية موضع شك، رغم أن كثيراً من الناس تحدوا مصداقية تفسيراتهم وصحتها. يمكن أن يُعتبر هذا فهماً متشدداً ضيقا للعقيدة، وإن كان يؤمن به قطاع عريض.

أُمتُدِحَ الزرقاوى على مواقع جهادية عديدة عقب قتله إثر هجوم صاروخى فى ٧ يونيو ٢٠٠٦. تواصل وجوده على الإنترنت، بشكل من الأشكال، من خلال ڤيديو دعائى أُطلق قبل مقتله ببضعة أسابيع. وكان هذا الڤيديو قد أسهم فى الواقع فى تحديد القوات العراقية والأمريكية لمكانه. وظل شريط الڤيديو الذى يظهر فيه وهو يطلق النار من بندقية متداولاً بعد وفاته. كما ظهرت صور جسده "الشهيد" فى العديد من المواقع، إلى جانب دعوات للانتقام ومطالبات بتبوئه درجة "الشهادة". ضمنت البنية التحتية المحيطة بخليفة الزرقاوى "الشرعى"، أى أبو أيوب المصرى، المعروف أيضًا باسم أبى حمزة المهاجر، انتشار أنشطته (من بينها عمليات الإعدام) والبيانات على نطاق واسع عبر الإنترنت. وفَّرَ اللابتوب والهارد ديسك المحمول اللذان عثر عليهما وسط الدمار الذى اكتشفت فيه جثة الزرقاوى دليلاً آخر على أهمية تكنولوجيا المعلومات لحَملتِه، فضلاً عن توفيرها مزيداً من المعلومات للأجهزة الأمنية.

أصوات أخرى فى العراق

تجدر الإشارة إلى ظهور مجموعة متنوعة من الأصوات العراقية الأخرى – لا تبث مباشرة فقط على الإنترنت بل أيضًا تعتمد على الويب بدرجات مختلفة لتسهيل أجنداتها. ربما لا تقل تلك الأصوات تشدداً، لكنها عادةً تدعو إلى رؤى وطرق، إن لم تكن منهجيات، لمعالجة القضايا فى العراق من منظور دينى. وكما هو حال قطاعات أخرى من الفضاء السيبرى الإسلامى الموجه نحو تأكيد وجوده داخل

المجتمعات من خلال الأنشطة العسكرية، فقد تستعصى تلك الدعوات على التصنيف.

ربما تعيَّن علينا عرض نموذج شريحة من مختلف المجموعات لها تفرعات شتى تستجيب لأجندات ومصالح محددة، مثل تفرعات الصدر العسكرية، والسياسية، وتفسيرات الصدر القرآنية. وما زالت هذه التفسيرات لا تراعى حدوث تلك التقاطعات بين شتى التفرعات، خاصةً حينما نبدأ في دراسة فضاء الويب المرتبط بمقتدى الصدر (١٩٧٤-) وجيش المهدى، الذى يُصنَّف أيضًا باسم حركة "الصدريين".

تشمل مواقع جيش المهدى على الويب موقع muqtada.com الرسمى، واللافت لعرضه صورة مقتدى إلى جانب صورة لوالده الذى اغتيل محمد صادق الصدر (١٩٤٣- ١٩٩٩) وعمه الذى أُعدم آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر (١٩٣٣- ١٩٨٠). يضم موقع muqtada.com معلومات عن سيرة لهؤلاء الأعلام وغيرهم من "الشهداء"، ومن بينهم إخوة الصدر الذين تعرضوا للاغتيال. قدم هذا الموقع بيانات موجزة جداً حول عناوين الأخبار لكنه كان يجرى تحديثه بانتظام. عرضت روابط لأحد المراكز الإسلامية تلاوة قرآنية صوتية للمنشاوى و"أدعية" متنوعة الموضوعات في هيئة ملف صوتى. من المهم تحديد ما إذا كان هذا الموقع يعتبر موقعًا جهاديًا (شيعيًا) أم ذا طبيعة فقهية، مع الأخذ فى الاعتبار مجموعة التأثيرات المختلفة.

ارتبط الصدر أيضًا ارتباطًا وثيقًا بآية الله العظمى كاظم الحسينى الحائرى، والمرتبط بدوره بآية الله خامنئى الذى كان يقيم بمدينة قُمْ. فكَّ الحائرى ارتباطه بالصدر فى ٢٠٠٣، عن طريق استخدام موقعه الإلكترونى لإصدار بيان يوضح فيه ذلك. يمثِّل الحائرى على الإنترنت موقعُ ويب رسمى يتضمن فتاوى تعارض الاحتلال الأمريكى للعراق صدرت على ما يبدو فى ٢٠٠٤ لكن مكتبه "نفاها" فيما

بعد. تلقى أتباعه والحجيج إلى المزارات المقدسة رسالة عند زيارة مدينة قم تدين القوات التى تقودها الولايات المتحدة. وظهرت فتوى مماثلة فى ٢٠٠٣ نُقِلَت عن طريق مكاتب الحائرى فى بغداد والنجف وغيرها، وتظهر فى المناطق الشيعية على شبكة الويب، من بينها منتدى "أهل البيت" للمناقشة.

ثمة شبكات وولاءات معقدة داخل العراق، لا تتمثل نسبة كبيرة منها فى الفضاء السيبرى. قد توجد هذه الشبكات المحلية فى الفضاء المدنى، رغم تحدى الديناميات الداخلية والخارجية لهذه الفكرة برمتها فى زمن الصراع الاستثنائى هذا. إذا تمثل أحد الميادين الرئيسية فى حَىّ سكنى من خلال موقع ويب محورى مثل موقع muq-tada.com، يركز على الولاءات السياسية والدينية، نجد أن لوحات النقاش وقوائم البريد الإلكترونى تمثل المقاهى والمطاعم حيث تُناقش قضايا الحياة الحقيقية أثناء تناول القهوة وتدخين الشيشة، فى الأوقات الأكثر أمنًا بالتأكيد.

فى هذا الفضاء المدنى لابد لنا أن نسلط الضوء على أن مسارات الاتصالات التقليدية تعرضت للتدمير أو لم تكن موجودة من قبل. وُضِعَت قيود على الوصول إلى الإنترنت وكان الوصول إلى النطاق العريض نادراً (فيما عدا داخل المنطقة الخضراء). كما تواجدت قيود أخرى على الوصول إلى الإنترنت فى ظل فقر معقل الصدر الحضرى (أى مدينة الصدر). ربما لا يكون الوصول إلى النت أولوية للبعض فى مناطق الصراع، حيث يحتل بقاء الإنسان وأمنه الأهمية القصوى، ويجرى الاعتماد على مسارات المعلومات التقليدية.

كان المسجد ضمن هذا النموذج الصدرى يمثل محوراً مركزيا للاتصالات، فى وجود الإنترنت عقدة أساسية فيه؛ ويمكن قلب هذا النموذج ضمن نموذج الزرقاوى، حيث ثمة تركيز دولى أكبر على الأمور اللوجستية والمشاركة. إلا أنه بالإمكان إضافة أنه فى المعادلة الصدرية فإن ثمة عناصر خاصة باللوجستية والاتصالات ما زالت خافية عن الأنظار. وكما اعتمدت الحركات الشيعية فى الماضى على التباين

ووضعت أئمتها "في حالة احتجاب"، لا تزال المعلومات عن حركة الصدر غامضة في كلٍ من العالم الحقيقي والفضاء السيبري. تستدعي الصلات مع لبنان وإيران إلى جانب غيرها من العقد الخارجية الأخرى إدماج النشاط السيبري؛ لكن المؤكد أن هناك تكهنات بشأن التواصل بين إيران والصدر، خاصة بالنظر إلى علاقة إيران بخصم الصدر، وهو آية الله السيستاني.

توجد صورة الحائري على الصفحة الأولى من موقعه، يظهر فيها يرتدي عباءة آيات الله. هناك نُسخ من إنتاجه العلمي، من بينها مؤلفاته في الفقه والمعرفة الدينية، وأرشيفات مفصلة بالفتاوى. وتُعرض "البيعة" على الصفحة الأولى، إذ تتيح للمتصفح من خلالها تقديم انتمائه إلى الحائري. كما أن عنوان البريد الإلكتروني الخاص بمنظمته متاح أمام الاستفسارات، إلى جانب أرقام تليفون مكتبه بمدينة قم. مرة أخرى يمكننا التساؤل حول تصنيف موقع الحائري على الويب.

هناك حاجة أيضًا للتمييز بين المواقع المرتبطة بمقتدى الصدر وتلك التابعة لأعضاء آخرين من عائلته، من بينهم محمد باقر الصدر. يحتفي عدد من المواقع بذكرى "استشهاده"، لاسيما بوابة معلومات صغيرة بعنوان "الإمام". توفر هذه البوابة معلومات عن سيرته ومنشوراته وخطبه والمقالات التي تصف لقاءات مع باقر الصدر. عرضت الصفحة الرئيسية روابط مهمة لقطاعات أخرى من الفضاء السيبري الشيعي، من بينها مركز أهل البيت لتكنولوجيا المعلومات (الذي يستضيف مجموعات من كتابات الصدر)، ومؤسسة أهل البيت الإسلامية بنيوزيلندا، ومركز الكوفة للمعرفة الإسلامية (بولاية فرجينيا)، وبوابة "الصوت الإسلامي" ذات التوجه السني. ولا ترد سوى إشارات قليلة إلى مقتدى الصدر في هذه الصفحات.

ويمكن أن تدخل أنشطة "الفضلاء"، وهو حزب سياسي مرتبط بعشيرة الصدر، ضمن هذه المعادلة. ويمكن أن ترتبط الأبعاد السياسية بعائلة الصدر بحزب الدعوة الإسلامي، والذي تأثر بدرجة كبيرة بمحمد باقر الصدر الذي تظهر صورته على

موقع الحزب الرئيسى. قدم الموقع تقارير إخبارية من مصادر دولية، فضلاً عن روابط لمواقع أخرى، وعرضًا لمبادئ الحزب الأساسية. انضم حزب الدعوة إلى الائتلاف العراقى الموحد، وأصبح إبراهيم الأشيقرى الجعفرى رئيسًا للوزراء فى الحكومة الانتقالية فى ٢٠٠٥. أورد موقع رسمى تقارير عن أنشطة الجعفرى وخطبه والتزاماته، رغم أنه لم يقدم إلا القليل من حيث المعلومات "الدينية". ظهر خليفة الجعفرى، وهو نورى المالكى من الائتلاف العراقى الموحّد الشيعى على موقع حكومة العراق، والذى يعرض بالتفصيل لخطبه باللغتين العربية والإنجليزية.

يمكننا أن نضيف أيضًا بين مجالات التأمل هذه المرجعيات الدينية الأخرى المرتبطة بالمنطقة، لاسيما عائلة الخوئى. أكد مقتل آية الله عبد المجيد الخوئى فى ٢٠٠٣ فى أحد المساجد فى النجف على يد أنصار الصدر كما يُزعم، للمراقبين الخارجيين الانقسامات داخل المذهب الشيعى فى العراق. كان عبد المجيد حفيد آية الله السيد أبو القاسم الخوئى (١٨٩٩-١٩٩٢)، وهو أحد كبار المرجعيات الدينية المولود بأذربيجان وكان يقيم فى النجف قد تعرض للاضطهاد من قبل صدام حسين.

لا يزال التساؤل حول مدى اعتبار أتباع عائلة الخوئى منصة "عراقية" على وجه التحديد بدلاً من منصة دولية، لا يزال مفتوحًا، خصوصا بالنظر إلى وجودهم الحيوى فى الفضاء السيبرى وعلاقاتهم مع الجاليات الشيعية المتفرقة فى جميع أنحاء العالم. على سبيل المثال، يقدم مركز الإمام الخوئى الإسلامى فى نيويورك نفسه بوصفه "مؤسسة خيرية دينية دولية". أكدت مؤسسة الخوئى أيضًا امتدادها العالمى، حيث عرضت صورًا لمراكزها فى مواقع مختلفة فى جميع أنحاء العالم. مؤسسات الخوئى منظمات ذات طابع عالمى، ينعكس على الإنترنت من خلال مواقع ويب تسمها ظلال من الفروق تركز على انتماءات محددة، يمثل العراق من بينها جمهورًا رئيسيًا. ويتجلى هذا فى إنتاج مواقع الخوئى على الويب فضلاً عن

المجلات على الإنترنت، والمناقشات العلمية، والفرص المتاحة لطرح الأسئلة على المرجعيات. ولا يمكن القول بأن الآراء أو الفتاوى العلمية النابعة من مصادر الخوئى كان لها تأثير على أى نوع محدد من أنواع التمرد فى العراق.

عشيرة الشيرازى من العائلات الأخرى التى تتمتع بصلات كبيرة فى العراق. ركزت مواقع عديدة على الويب على سمعة آية الله العظمى الحاج السيد عبد الله الشيرازى (١٨٩٢- ١٩٨٤)، وآية الله محمد بن مهدى الحسينى الشيرازى (١٩٢٨- ٢٠٠١)، وابن الأخير هو الإمام الصادق الشيرازى الذى يدير أنصاره موقعاً على الويب باللغة الإنجليزية. يضم هذا الموقع فتاوى محمد الحسينى الشيرازى فى إحدى قواعد البيانات، مع وعدٍ بتمرير الأسئلة التى لا يمكن الإجابة عنها إلى الإمام صادق الشيرازى.

عرض الائتلاف العراقى الموحد صورة على غرف الدردشة الشيعية، واضعًا صورة محمد الشيرازى بجوار شعار حزب الله "العراقى"، وصورة لآية الله الخمينى، والعلم العراقى الذى يحمل شعار "أمة شيعية واحدة تكافح من أجل العودة". يمكن قراءة ذلك على مستويات عدة، لكنه يشير ضمنيًا إلى وحدة وراء "المهدى" [المنتظر]. استشهد الائتلاف العراقى الموحد أيضًا بقول آية الله محمد الشيرازى: "الغالبية فى العراق، فلا يحكمكم أى أحد مرة أخرى إلا أنفسكم!" كان هذا الشعار يشير إلى نحو ثلاثة مواقع alshiarazi.com، وalkarbalaeia.net، وalshiraz.no. ركز موقع alshiarazi.com على التفسير القرآنى وما يتصل به من مواد صوتية مبثوثة فى هيئة ملفات ريال، تتضمن تلاوات ترتبط بشهر رمضان.

فسَّر موقع alkarbalaeia.net ركنًا أساسيًا من أركان المذهب الشيعى (وفقًا لهذا التيار)، ويضم الموقع معلومات حول السيرة الذاتية لأهم الشخصيات الدينية وشروحاً قرآنية؛ كما اشتملت أيضًا على سلسلة من صور المواقع الدينية. فى المقابل، كان موقع alshiraz.no ذا توجه إلى الحملات فى العراق، مع لافتات بارزة

تظهر القوات العسكرية الأمريكية بالإضافة إلى أخبار وتعليقات يجرى تحديثها بانتظام. واستخدمت أيضًا نطاق almojadad.com كما قدمت عدة روابط لوسائل البث الغربية، من بينها السى إن إن والبى بى سى، وكذلك البث بإذاعة "سوا" التى ترعاها الولايات المتحدة. هناك تباين حيوى فى المواد والرؤى التى تحيط بعائلة الشيرازى وأنصارها، مما يشير إلى المدى الواسع لإمكانية تفسير العناصر المختلفة المستمدة من إنتاجهم "باسمها" على الإنترنت.

ينبغى أن يُضاف إلى هذه المعادلة الخطابات السياسية والدينية المهمة التى شكلت جزءًا من المشهد العراقى، وخصوصًا منذ احتلال بغداد. فى ٢٠٠٦ كان لا يزال وضعها فى حالة تغير مستمر، مع استمرار المفاوضات وتبادل الاتهامات فى بعض الحالات، إلى جانب تصارعٍ على المكانة، وفى حالات أخرى، تفادٍ للعملية السياسية. قدم بعض اللاعبين الأساسيين أنفسهم بصورة مثيرة للاهتمام. فبعد خروجه من صلب جماعة الإخوان المسلمين فى العراق، ظهر الحزب الإسلامى العراقى السنى، فى البداية تحت قيادة إياد السامرائى. كان هذا قبل تولى مقاليد الإدارة محسن عبد الحميد الذى اعتقلته القوات الأمريكية فى يونيو ٢٠٠٥ بتهمة رفضه المشاركة فى الانتخابات، رغم أنه أقر فى وقت لاحق الدستور العراقى.

قدم الحزب الإسلامى العراقى موقعًا مفصلاً على الويب يتضمن أخبارًا وبيانات واستطلاعات رأى ومناقشات، مع فرص للالتحاق به من خلال قوائم البريد الإلكترونى وبطاقات العضوية. خُفِّفَ المدى الذى يمكن من خلاله تحديد هذا الموقع بسهولة كموقع إسلامى من حيث الرموز؛ إذ جرى التركيز على العلم العراقى وشعار الحزب الإسلامى العراقى. لم تكن هناك أية صور للقرآن أو أية رموز إسلامية مباشرة أخرى. عملت الصور على اللافتة، التى تظهر نساءً وأطفالاً يرتدون "الزى الإسلامى"، وصورة للعلم العراقى مع خلفية لمسجد على تعزيز غير مباشر للهوية. ولا تعنى هوية الحزب الإسلامية ضرورة تنميط الأسلوب الذى يحتمل

لها أو ينبغى عليها أن تمثّل به هذه الهوية على الويب.

تعتبر الأحزاب الأخرى هامشية من حيث العضوية أو لا ترى نفسها ذات توجه "سياسى" على وجه التحديد. عارضت هيئة العلماء المسلمين، بقيادة حارث الضارى، الغزو الأمريكى لكنها ادعت عدم دعم التمرد بأى شكل من الأشكال. ضمت الهيئة أيضًا عدداً من أهم الشخصيات السنية الدينية فى العراق. من العناصر الرئيسية التى تبناها الضارى الدعوة لدستور محوره الشريعة، من شأنه استيعاب جميع عناصر المعتقدات الإسلامية التى تتمثل فى العراق. إلا أن أنشطتها على الإنترنت كانت محدودة.

لابد من طرح الكيانات السياسية والدينية الكردية أيضًا فى هذه المناقشة، فعلينا أن نميز بين الجماعات التى تعمل فى شمال العراق على وجه التحديد وغيرها فى المناطق الكردية عبر حدود العراق، والتى تربط فيما بينها بعض الانتماءات الطبيعية (والتى ليست شاملة بالضرورة) وأوجه التشابه. كانت هناك مزاعم بشأن وجود صلات بين هذه المنظمات وتنظيم القاعدة. بعض المنظمات الجهادية التى نوقشت سابقًا بها أعضاء أكراد، مثل أنصار السنة؛ وأنصار الإسلام التى توجد جذورها فى شمال تركيا. ولا تتميز بعض الأحزاب بهوية دينية طاغية، كما أوردنا أثناء مناقشتنا لحركة كريكار الإسلامية.

يمكن أن يضاف لهذه القائمة الجماعة الإسلامية الكردستانية، والتى قدمت موقعًا مفصلاً على الويب يتضمن أخباراً وبيانات سياسية ومحتوى دينياً يشتمل على ملفات صوتية لتلاوات من القرآن. وترددت مزاعم بانتماء الجماعة الإسلامية الكردستانية إلى أنصار الإسلام والملا كريكار. اعتقلت القوات الأمريكية العضو السابق فى حركة كريكار الإسلامية فى كردستان، وأمير الجماعة الإسلامية الكردستانية الملا على بابير واحتجزته فى سجن أبو غريب بين عامى ٢٠٠٣ و٢٠٠٥ ووفقًا لموقع الجماعة الإسلامية الكردستانية على الويب، تمثلت سياسته

فى "السعى وراء تكوين علاقات أخوية مع الأحزاب والمنظمات الإسلامية ، والشخصيات الإسلامية، والجماعات التى تتبع تقليداً سلفيًا أو صوفيًا أو تقليداً علميًا. نؤمن فى الجماعة الإسلامية أن الجماعة لابد أن تكون واسعة الأفق وتسعى إلى الأخوة مع جميع من يدعون إلى الإسلام أو يعملون من أجله، فإذا رأينا منكرًا، فسوف نحاول تصحيحه عن طريق الحوار وخلق جو أخوى".

يثير المدى الذى أبرزت من خلاله هذه العلاقات على الإنترنت بعض التساؤلات الشائقة. وجدت العديد من العناصر المرتبطة بالهوية الكردية مكانًا لها على الويب. لا يوجد هناك كيان سياسى واحد لـ"كردستان" فى ظل وجود الأكراد فى تركيا وسوريا وإيران ولبنان وأرمينيا، وكذلك الجاليات كبيرة العدد "فى المنفى" فى أوروبا وغيرها من الأماكن. بيد أن الإنترنت قد تتيح لكل هؤلاء الشعور بهوية جامعة. وجدت فصائل دينية معينة أيضًا مكانًا لها على الإنترنت، وبخاصة الأكراد الشيعة، وفيما يبدو فإن الصفحة الرئيسية للأكراد الفَيْلِيّة الشيعة ظهرت على الإنترنت منذ ١٩٩٧، رغم تعطلها فى ٢٠٠٥. بينما يرتبط الأكراد الصوفيون بعدد من الطرق الصوفية على مستوى العالم، مثل الطريقة البكتاشية والنقشبندية، التى يمكن أن تصب فى أنشطتهم على الإنترنت أيضًا. هناك أدلة على الانتماءات الدينية الأخرى المرتبطة بالهويات الكردية على الإنترنت، وتشمل اليزيدية، وياره سان (أهل حق)، والعلويين أو القزلباش.

العراق: تعليق ختامى

لعب الإنترنت دورًا حاسمًا فى السياق العراقى لعدد من اللاعبين، بدءًا من "المتمردين" و"السياسيين" إلى علماء الدين وجميع ما يقع بينهما. كما عمل بمثابة نقطة معلومات للجماهير المحلية والإقليمية والعالمية أثناء فترة من انعدام الأمن. وهذا مهم بخاصة لاسيما بالنسبة للأفراد والجماعات الملمة بالنت التى كشفت عن وعى واقعى بالفرص التى قدمها هذا الوسيط.

فى هذه المرحلة، وبينما لا تزال الصراعات قائمة، من الممكن بناء فرضيات على بعض التيمات والاحتمالات المبدئية المتعلقة بالسياقات الإسلامية السيبرية المرتبطة بالعراق. يمكن تصميم المحتوى للكشف عن الانتماء، وتوفير الدعم والتبرير اللوجستى للأفراد والجماعات والمنظمات. ارتفعت مكانة أحزاب ولاعبين معينين بتكلفة منخفضة نسبيًا من حيث الميديا ارتفاعًا حادًا من خلال النت؛ وساعد هذا بدوره قضيتهم من خلال توفير الدعم اللوجستى والدينى فى المنطقة وخارجها. وربما كان له أيضًا أثر تعبوى أو أدى إلى توفير قدر أكبر من التمويل؛ لكن المؤكد أنه ساعد فى الدعاية لرسالة إسلامية محددة، استنادًا إلى الرموز واللغة الدينية التى تستخدم فى تقديم رسالة محددة. وقد شمل هذا استخدام الوسائط المتعددة لتقديم رسالة "دينية" إلى جمهور عالمى لا يقتصر على المسلمين من حيث الهوية والتوجه. وجاء تصميم معظم ما قُدِّمَ لاستخدام القنوات الإخبارية، و"إبلاغ" "العدو" أو تخويفه أو كليهما.

يمكن أن نضيف إلى هذه المناطق أثر وسائل الإعلام الأخرى المبنية على الويب، ومن بينها المدونات. ويمكن أيضا أن نلقى مزيدًا من الضوء فى الوقت المناسب على المعلومات فى مناطق الويب المغلقة والآمنة التى تتطلب العضوية الانتماء الشخصى. وربما لعب عنصر الإنترنت دورًا فى الصراعات السابقة (على سبيل المثال، الحرب فى البوسنة). غير أن الحملات فى العراق وقعت فى وقت شهد فيه الوسيط نضجًا نسبيًا، شعر معه اللاعبون الرئيسيون شعورًا فطريًا بأهمية الويب كقناة طبيعية لتوصيل المعلومات حول قضيتهم. فبدون الويب، كانت الرسالة (أو الرسائل) الدينية ستتخذ مسارًا وشكلاً مختلفًا. كما أن بعضًا من السيناريوهات التى تُستخدم فيها اللغة الدينية كان لابد لها أن تأخذ شكلاً مختلفًا لو أن شخصياتها الرئيسية الواعية بذاتها لم تضطر للتوجه لجمهور إقليمى أو عالمى بنفس الطريقة؛ وبنفس المنطق يمكن القول إن الصراع الذى يعرضه النت يتسم ببؤرة تركيز مختلفة عما يعادلها

فى العالم التناظرى. كان سيتعين على الأحزاب المهمة اختيار طرق مختلفة لعرض قضيتها للعالم والمنطقة، وكانت الفرصة لتطوير خطاب دينى متسارع فى العراق ستتعرض لإخماد صوتها.

ساحات القتال الفلسطينية الرقمية

مثّلَ الإنترنت قناة مهمة للخطاب بشأن القضايا الإسلامية الفلسطينية ـــ سواء فى داخل فلسطين والأراضى المحتلة أو خارجها ـــ عن طريق توفير وسيلة متصلة من حملات الاتصالات، وجمع الأموال، وتوفير إحساس متماسك بالهوية الإسلامية على الإنترنت لمن لديهم إمكانية الوصول إلى الإنترنت وإلمام باستخدامه. يمكن أن يتجاوز هذا الخطاب الإسلامى المواد الموجهة عسكريًا إلى المناطق المرتبطة بحقوق الإنسان، والتحقيقات الصحفية، والطب، والحوار بين الأديان، والتى تعكس الأجندات المتنوعة لمؤلفى المواقع وأصحابها.

تُصَمَّم المواد لجمهور منتشر؛ فالفلسطينيون المنخرطون فى الأنشطة السياسية والعسكرية (وهما ليسا مترادفين) قد يكوّنون جمهورًا أساسيًا، لكن هناك شعور ضمنى بأن جماهير أخرى تشارك فى هذه المواد. يمكن أن يتراوح هذا بين المسلمين الآخرين فى الشرق الأوسط وخارجه، الذين يستخدمون هذه المواقع كأدوات إعلامية، سواء كانت تدعم الاستراتيجيات التى يجرى التعبير عنها على الإنترنت أم لا. وقد يسعى البعض إلى خلق الانتماء والدعم، سواء كان ماليًا أو أيديولوجيًا، أو من خلال المشاركة. وقد تستفيد الحكومات الأخرى فى البيئات الإسلامية من المواقع لتحديد أنشطة السكان الفلسطينيين، سواء كانت تؤيد أسلوب عملها أم لا.

توجد أيضًا الجماهير الأخرى المتنوعة خارج الوسط الإسلامى والتى تسعى إلى المشاركة فى القضايا الفلسطينية. عند أحد طرفى الطيف توجد الحكومة الإسرائيلية وهيئاتها، والتى يتضمن مستوى مشاركتها مراقبة المواقع بغرض جمع

المعلومات الاستخبارية. تعمل الحكومات الساعية إلى التأثير فى السياسة الإقليمية وتقييم موازين القوى أيضًا على مراقبة هذه المواقع. وعند الطرف الآخر من الطيف يقف أولئك الأفراد والمنظمات التى تواصلت مع المسلمين الفلسطينيين الذين يعيشون فى غزة والأراضى المحتلة، سواء كانوا يؤيدون مختلف الأجندات الإسلامية المناضلة والعسكرية والسياسية (مثل الجمعيات الخيرية والإنسانية) أم لا.

لاحظتُ أن بعض المواقع سعت للتواصل مع الشعبين الإسرائيلى واليهودى على الإنترنت، وذلك باستخدام المواقع كأداة للضغط السياسى على الحكومات الإسرائيلية وربما أيضًا لتكثيف مطالب المعيشة فى ظل تهديد وقوع هجوم ما. وفيما شاركت بعض المواقع فى الرسالة العسكرية، حاولت مواقع أخرى وصف ضغوط الحياة فى فلسطين بالنسبة للناس العاديين. بات الإنترنت أداة فاعلة ومنخفضة التكلفة لتقديم وجهات النظر الإسلامية الفلسطينية التى بدأت تتوجه شيئًا فشيئًا نحو مجموعة متنوعة من واجهات القراء. ويركز هذا القسم على إنتاج المنظمات التى تقدم الرسالة العسكرية، والتى تشتمل على تعبير عن الجهاد.

كان استخدام المواقع "الاستشهادية" والسبل التى أدمجت بها حماس (حركة المقاومة الإسلامية) الإنترنت فى استراتيجياتها بالنسبة لحملتها الانتخابية الناجحة فى ٢٠٠٦ أهمية كبرى بالنسبة للفضاء السيبرى الإسلامى الفلسطينى. غدا "النجاح" المبكر، لاسيما نجاح حركة حماس، فى استخدام الإنترنت كوسيلة لتقديم رسالتها نموذجًا جاهزًا تحتذيه المنظمات والمنصات الأخرى، وبخاصة تنظيم القاعدة. أنشأت العديد من الحركات السيبرية الإسلامية الفلسطينية مواقع على الويب ابتداء من منتصف التسعينيات، إلى جانب المحتوى الآخر الذى ينتشر إلكترونيًا منذ الأيام الأولى للإنترنت.

خرجت المواقع الإسلامية ذات التوجه الفلسطينى بلغات متعددة من بينها

العربية والإنجليزية والفرنسية والروسية والفارسية والملاوية والأردو. كما ظهر المحتوى على مزودى خدمات الإنترنت فى أماكن مختلفة فى الولايات المتحدة وأوروبا، وكذلك فى الشرق الأوسط وآسيا. تشير الطبيعة المتغيرة والمرنة لهذه المواقع إلى الخبرة فى الالتفاف حول القيود الأمنية الموضوعة على مضمونها.

تثير مناقشة هذه المواقع تحديات خاصة فى أى تحليل نظرًا لطبيعتها المتغيرة، رغم ظهور نمط للملكية وإدارة المحتوى مع تيمات رئيسية خاصة؛ إذ إنها تتخلل الشبكات الدولية، مع ظهور المحتوى فى أحد المكاتب التنظيمية (مثلاً فى لندن أو بيروت) ويُوضع على مزود خدمات إنترنت فى جنوب شرق آسيا ثم يُنْشَر على غرف الدردشة التى يستضيفها مزودو خدمات الإنترنت فى الولايات المتحدة. وربما يعكس هذا، بشكل أو بآخر، طبيعة الشتات التى يعيشها الشعب الفلسطينى.

تحليل مثل هذه المواقع من حيث المحتوى والمكان والتحديثات نشاط يحتاج إلى عمالة كثيفة، يتواصل بدرجات متفاوتة من خلال العمليات الأمنية المتنوعة. كانت الوكالات والمنظمات الموجودة فى إسرائيل أو الداعمة للقضايا الإسرائيلية سباقة، على وجه الخصوص، فى رصد نشاط الإنترنت الإسلامى الفلسطينى وتسجيله. ويطرح هذا قضايا مرتبطة بالمصداقية و"النزاهة" الأكاديمية، رغم أن هذه قضية ذات صلة أيضًا عند مناقشة سياقات أخرى على الإنترنت.

يطرح تحديد ملكية المواقع أنماطًا معقدة من التحكم والربط الشبكى. بالنسبة لحماس التى تعود جذور انتمائها إلى جماعة الإخوان المسلمين المصرية، أشار محللون إسرائيليون إلى أن "البنية التحتية بأكملها يشغلها نزار الحسين من مكتب أسامة حمدان، وهو ممثل حماس فى لبنان، والذى يسترشد هو نفسه، فى تقديرنا، بمقر الحركة فى دمشق".

كان مركز فلسطين للمعلومات بؤرة التركيز الرئيسية للنشاط المرتبط بحماس على الإنترنت، فى ظل وجود مواقع بعدة لغات تعمل من خلال مجموعة متنوعة من

العناوين. فى ٢٠٠٦ هيمن على الموقع الإنجليزى لافتة يظهر عليها العلم الفلسطينى تتقاطع مع صورة لشاب يقذف دبابة إسرائيلية بالحجارة. تقدم الصفحة الأولى تصميمًا أنيقا وواضحًا، مما يوحى بمرجعية إحدى الصحف فى إخراجها الفنى وفى نبرتها، حيث تؤكد على تأثير صحيفة "الديلى نيوز" التى يجرى تحديثها بانتظام.

يوفر الشريط الجانبى الأيمن روابط للتعليق على حقوق الإنسان، والمسجد الأقصى، والمسألة الفلسطينية، والإرهاب الصهيونى. عرض الموقع عدداً من لافتات أخرى؛ تدعو إحداها إلى مقاطعة إسرائيل برسم خط يقطع نجمة داود على علم إسرائيل؛ بينما تُحيِى لافتة أخرى ذكرى مذبحة دير ياسين. اشتمل الجانب الأيمن من الصفحة صورة لأحمد ياسين، مع الربط بموارد مرتبطة بزعيم حماس المُغْتال. وتُعْرَض شعارات حماس وصور القادة المحليين بشكل بارز بجوار القصص الإخبارية المختلفة. كما تتوفر وسيلة لإدراج معلومات عناوين الصحف فى مواقع أخرى، فضلاً عن أن الموقع قابل للبحث فيه تماماً.

يمكن تحديد جوانب موقع فلسطين للمعلومات باللغة الإنجليزية فى نسخته العربية إلى جانب لافتة ونمط لونى مشابه، رغم أن النبرة والنهج التحريرى أقل «دقة وانضباط» من النسخة الإنجليزية. يمكن أن نجد هذا فى أنواع الصور التى تظهر على الصفحة، والتى تتصف بأنها أكثر جرافيكية بكثير بشكل عام. فى مارس ٢٠٠٦ ظهر الأطفال فى هيئة رسوم متحركة فى مجلة حركة فتح؛ كان بعضهم يرتدى أقنعة، بينما كانت الفتاة الوحيدة فى الصورة تُمسك نبلة "مقلاع". اشتملت مجلة حركة فتح على جزء خاص بالرسوم الكرتونية يصف الوضع الفلسطينى، وتضمنت أيضا المشورة الدينية، وقسم خاص للأمهات، والنكات، وأوصاف "بطولة" مختلف الشخصيات.

وفى نفس الموقع، أدى رابط معلومات فلسطين إلى "الإرهاب" إلى صفحة

تعرض صوراً لضحايا القصف من الأطفال وإطلاق النار من جانب جيش "الدفاع" الإسرائيلي، من بينها قائمة بضحايا "الأضرار الجانبية". وعلى العكس من الصفحات الإنجليزية، تَوَفَّر رابط مباشر إلى محتوى حماس على النسخة العربية من فلسطين للمعلومات الذى يقدم الأخبار، وجلسات الأسئلة والإجابات، والبيانات المُحَدَّثة من قادة حماس. هذا الموقع أغنى بكثير فى محتواه من نظيره الإنجليزى، حيث وَرَدَ به العديد من البيانات التى لم تُتَرْجَم. استخدم الموقع مراسليه لتغطية الأحداث الخاصة مثل زيارة وفد حماس لموسكو. كان من المثير للاهتمام فى ذلك الوقت مقارنة محتوى فلسطين للمعلومات مع محتوى موقع السلطة الوطنية الفلسطينية فى نسختيه العربية والإنجليزية الذى كان ضئيلاً نسبيًا من حيث المحتوى على الإنترنت.

برز على الصفحات شعار لواء كتائب عز الدين القسام، وسرايا الأقصى، وحملة دعم التغيير الديمقراطى فى فلسطين. كان ظهوره هذا مهمًا فى ظل انتصار حماس الانتخابى فى ٢٠٠٦، والذى نوقش بالتفصيل على الصفحات العربية. واستمرت حماس فى الاعتماد على مواقعها المستقلة فيما يتعلق بإنتاجها على الإنترنت.

وضعت صفحات حماس خلال الانتخابات رابطًا لموقع Pal-Election.com، وهو موقع مخصص للانتخابات باللغة العربية كان يشجع على المشاركة إلى جانب بطاقة حماس تحت شعار التغيير والإصلاح. أبرز الموقع صوراً لأهم القادة فى الماضى والحاضر ولافتة تصور فتاة صغيرة ترتدى زيًا عسكريًا وترفع تحية النصر. ترتبط الصفحة برابط مباشر بالمناقشات حول الانتخابات داخل "المنتدى الفلسطينى". وجَّه هذا الموقع أولئك الفلسطينيين القادرين على التصويت والراغبين فيه إلى مجموعة متنوعة من المواد، من بينها الحوار السياسى والدينى وارتباط المحتوى. كانت الملصقات التى أنتجها موقع khaleelstyle.com لافتة من حيث

الأساليب الفنية المستخدمة. وكانت اللافتات والملصقات ملائمة للاستفادة منها فى أى موقع على الويب. أكدت إحدى اللافتات على دور النساء فى إطار الحملات الفلسطينية؛ بينما كان ملصق آخر، رسمًا كارتونيًا يمثل ما فسره فنانوها على أنه شخص "يهودى" نمطى، تستقر قنبلة على رأسه على شاكلة الرسم الكرتونى لمحمد (ص) فى صحيفة "يولاندس بوستن".

كان عدد من المواقع "الاستشهادية"، لاسيما تلك المرتبطة بحماس، نماذج للممارسة الاستشهادية العملية المرتبطة بالقضايا ذات الصلة. سعت هذه المواقع إلى تسجيل أعمال وصور كل "شهيد" اضطلع بعملية "انتحارية" باسمه. فى الأساس، عملت هذه الصفحات بمثابة امتداد لمفهوم إنتاج الملصقات. وتمثل هذه ممارسة قديمة لطباعة ملصقات "الشهداء" الأيقونية على عجالة والتى تُوَزَّع فى الأراضى الفلسطينية وخارجها؛ ووسَّع الإنترنت توزيعها ليتجاوز نطاق أى رقابة تقليدية. لكن هناك دائمًا احتمال إغلاق مزودى خدمات الإنترنت للصفحات، أو تعرض المواقع للقرصنة.

تعرِض بعض المواقع منفذى العمليات بعد وفاتهم، ليس فقط المشاركين فى الحملات المعاصرة - والتى تُنْشَر بصورة متكررة وسريعة على الإنترنت - لكن أيضًا من مراتب "أبطال" العمليات السابقة. فعلى سبيل المثال، عرضت صفحات كتائب عز الدين القسام، الجناح العسكرى لحماس، صور أولئك الذين ماتوا فى العمليات الانتحارية فى أوائل التسعينيات قبل أن يصبح الإنترنت سائدًا. تسلط مثل هذه الصفحات الضوء على من سقط من الزعماء، وأبرزهم الشيخ أحمد ياسين الذى اغتالته قنبلة إسرائيلية فى ٢٠٠٤. يقدم كل منهم على أنه "شهيد"، إلى جانب صور تتقاطع معها الأيقونات واللغة الدينية.

وفى تطور تدريجى مهم كانت رائدته حركة حماس، وكتائب (شهداء) الأقصى، والجهاد الإسلامى الفلسطينى، وأتباع القاعدة وغيرها من الجماعات، أُنْتِجَت

الفيديوهات الاستشهادية لكى يستهلكها على الإنترنت منفذو العمليات المرتبطون بمختلف المنابر الإسلامية الفلسطينية. كان لهذه الأفلام القصيرة شكل محدد، حيث تألفت من بيانات يدلى بها أى "شهيد" (محتمل) "لتبرير" عملية ما، والمعلومات الأساسية التى تؤكد هوية "الشهيد"، وبيان يقدم "الوصية" وفقًا للمبادئ الإسلامية. قد تخضع هذه الكليبات للمونتاج إلى جانب كليبات فيديو أخرى، من بينها فيديوهات العمليات. وتُرْفَع هذه الفيديوهات فى نفس زمن العملية أو بعدها بزمن قصير للغاية.

أظهرت جودة الأفلام تحسنًا تقنيًا ملحوظًا من حيث الجودة السمعية والبصرية، فى ظل وجود خلفيات صممت لأغراض معينة. صُوِّرَت بعض الأفلام فى الهواء الطلق، حيث يحمل منفذو العمليات الأسلحة. استخدمت أوضاع محددة؛ على سبيل المثال، صُوِّر البعض فوتوغرافيًا وبالفيديو وهم يقرأون القرآن بينما يحتضنون بندقية، فيما تقاطعت صور آخرين مع صور المسجد الأقصى. وقرر البعض الوقوف أو أُشيرَ عليهم بالوقوف بالملابس العسكرية؛ كما لم تكن كل الخلفيات "دينية". التقطت صور فوتوغرافية للبعض أمام «البراقانات» العادية التى نشاهدها فى معارض صور البورتريه، مع صور الشلالات، وغروب الشمس، وغيرها من الظواهر الطبيعية. قد تتمتع هذه الصور، بالطبع، بأشكالها الخاصة من الرمزية الدينية المرتبطة بمفاهيم الجنة وأجر الشهادة.

وفيما كانت مثل هذه الكليبات تُنْتَج باللغة العربية فى المقام الأول، سجَّل المواطنان البريطانيان عاصف محمد حنيف وعمر خان شريف، اللذان كانا مسئولَيْن عن تفجير انتحارى فى تل أبيب فى ٢٠٠٣، فيديو باللغة الإنجليزية. ندد الفيديو بدور بريطانيا فى السياسة الإقليمية، وكان الفيديو نموذجًا يحتذى من حيث الشكل للفيديوهات الأخرى باللغة الإنجليزية، وفيديوهات التفجيرات الانتحارية، من بينها تفجيرات ٧/٧.

جُمِعَت هذه البيانات فى معارض الوسائط المتعددة المختلفة. ورغم وجود صفحات لمنفذات التفجيرات الفلسطينيات و"الأبطال" الآخرين الذين سبقوا الانتفاضتيْن (لم يكن دافع أى منهم أسباب دينية)، كان التطور المهم الآخر ظهور نساء انتحاريات فى المعارض فى ٢٠٠٥، لا يزال التساؤل مطروحًا حول مدى تمثيل الظهور على مثل هذه الصفحات كعامل تحفيزى للمشاركين فى العمليات. من المؤكد أن القضية رُوِّجَ لها بقوة على الإنترنت ضمن صيغة موحدة. وهذا يعنى ضمنيًا بالتأكيد إبرام عقد الاستشهاد قبل القيام بعملية ما. غير أن البيانات محدودة حول عدد الأفراد الذين صُوِّرُوا بالڤيديو لكنهم لم ينفذوا عملياتهم. تمثل التأكيد فى أشرطة الڤيديو فى جزء منه فى الثواب الذى قد يحصل عليه المشاركون بعد "نجاح" انتحارهم أو استشهادهم، والذى غالبًا ما يصاغ بعبارات مرتبطة "بالزواج" فى الحياة الآخرة. يشير هذا إلى التبرير الذاتى وكذلك حافزٍ للآخرين فيما بعد.

تشمل الڤيديوهات أيضًا خطابًا موجهًا إلى إسرائيل واليهود الصهاينة (غيرهم). تعمل المنظمة الإسرائيلية "وسائل الإعلام الفلسطينية ووتش" على ترجمة وأرشفة عدد من الڤيديوهات والتعليق على عدد منها كردٍ سريع على السلطة الفلسطينية وحماس وغيرها من المنابر. كما اهتمت بشكل خاص بالخطاب المعادى لليهود. ظهر فى أحد الكليبات اثنان من المشاركين صُوِّرا أمام علم إسلامى أخضر، بينما تظهر قاذفة صواريخ وبندقية فى المقدمة. صُوِّرَ مشارك آخر بالڤيديو بينما كانت أمه تجهزه، تقريبا على طراز الفيلم المنزلى، وكان هناك حدث وقع بالفعل فى نفق أُستخدم فى هذه العملية. وقعت هذه العملية فى ٢٠٠٤، رغم أن الڤيديو لم يظهر على الإنترنت، وفقًا "لوسائل الإعلام الفلسطينية ووتش"، إلا بعد انتخاب حماس.

يمكننا القول إن حماس تخاطب مباشرةً، فى بعض النواحى، جمهور "وسائل

الإعلام الفلسطينية ووتش"، من خلال ترجمة الخطب إلى الإنجليزية والعبرية وإتاحة أشرطة الفيديو على سيرفر إسرائيلي. أنتجت "وسائل الإعلام الفلسطينية ووتش" شريط فيديو للتعليق على التفجيرات الانتحارية. ولفتت الانتباه إلى ما تصورته على أنه النسخة "الرومانتيكية" من الاستشهاد التي عُرِضَت في فيلم "الجنة الآن" في ٢٠٠٥ إلى جانب تمثيل الواقع الذي يشار إليه ضمنيًا على صفحاته. كان هذا عاملاً فيما تصوره البعض تواطؤًا بين السلطة الفلسطينية وحماس في حملة "إرهابية".

تُعتبر الطريقة التي أُدمجت بها وسائل الإعلام الإنترنت في استراتيجية أوسع لنشر أيديولوجيا الاستشهاد وفقهه ذات أهمية خاصة. لهذه الاستراتيجية نهج دقيق يستهدف جماهير متنوعة، من بينها القراء الأصغر سنًا. يظهر "الشهداء" أيضًا على صفحات الأطفال، ومن بينها مجلة حركة فتح. ويواصل القادة الذين استشهدوا شرح وجهات نظرهم عبر الإنترنت. ولا يزال لزعيم حماس عبد العزيز الرنتيسي، الذي اغتيل في ٢٠٠٤ بعد وقت قصير من وفاة الشيخ ياسين، حضورٌ كثيف على المواقع ذات الصلة بحماس بعد وفاته.

قدمت "الكتلة الإسلامية" تقارير إخبارية عن أنشطة العمليات، بالإضافة إلى النصوص والبروباجندا ذات الدوافع الدينية للترويج لقضاياهم. شملت هذه التقارير ملصقات قابلة للتحميل تسرد قائمة بأسماء المسجونين من منفذي العمليات وصورًا تبين حملات الدعاية، والمظاهرات، والأنشطة ذات الصلة داخل الجامعات الفلسطينية. وضم موقع alkotla.com المرتبط بها، وهو هدف للنشاط المتواصل "المناهض للجهاد"، روابط لصفحات القاعدة و"إسلام أون لاين" على صفحة فهرسه.

عمل موقع PalestineGallery.com كمركز محوري لتبادل المواد السمعية والبصرية الخاصة بالعمليات بالنسبة لحماس والمرتبطة بالحملات العسكرية في

المنطقة، بما فيها العمليات الاستشهادية. تخللت المواد لغة ومصطلحات ورموز دينية (على سبيل المثال، صُوِّرَ أحد المفجرين فوتوغرافيًا على خلفية علم إسلامى أسود). شملت الملصقات أولئك الذين يحرضون على العمل العسكرى إلى جانب صورة لرجل مسلح وملثم تتجاور مع خلفية صورة للمسجد الأقصى.

إلى جانب فن الخط العربى التقليدى، عمد فن الخط العربى المدعوم بالكمبيوتر إلى رقمنة اسم محمد (ص) على الموقع. وفى صفحة أخرى، واجهت صورة ظلية لأحد المسلحين شروق الشمس، والتى شكَّلت بدورها خلفية لعَلَم ظهرت عليه كلمة "محمد". هناك أمثلة كثيرة على اللغة الدينية التى يغلفها فن الخط العربى الإسلامى الرقمى. اتصلت الصور أيضًا بأحداث وحملات محددة، مثل الاحتجاج ضد نشر صحيفة "يولاندس بوستن" للرسوم "المسيئة".

كانت هناك أصداء لموقع فليكر وغيره من مواقع خدمات الصور الفوتوغرافية على الإنترنت على موقع PalestineGallery.com. يمكن وضع صوره فى ألبوم شخصى للمستخدمين من الأفراد، مع اختيار أكثر من ١٠٠٠ ملف صور. وتحدد أشكال الملفات بوضوح. كما يُسَجِّل عدد الزيارات التى تستقبلها كل صورة أيضًا. لم تحقق غالبية الصور سوى عشرات الزيارات فقط، رغم تسجيل كليبات القوات الإسرائيلية فى مواجهة مع الفلسطينيين لآلاف التحميلات. هناك ما يقرب من ١٥٠٠ صورة من المظاهرات والنشاط السياسى، والتى اشتملت على صور مهمة للمشاركة فى الإعداد لانتخابات ٢٠٠٦، من بينها صور لأشخاص يدلون بأصواتهم. وتوحى تواريخ رفعها بأن تيارًا منتظمًا من الأعمال الفنية الجديدة ظهر على الموقع. ويستطيع القراء تقييم الصور والوسائط المتعددة المفضلة لديهم وعرض قوائم المحتويات التى حصلت على أعلى النقاط. عادةً ما تشير الصور إلى مصادرها، من بينها الصور التى رفعها المشاركون فى المظاهرات. خير مثال على ذلك الصورة التى التقطها "abbas_03_ramallah" فى إحدى المظاهرات، حيث

كان أنصار حماس يحملون ماكيت لمسجد قبة الصخرة يجولون به فى الشوارع وهم يلوحون بالأعلام. سُجِّل موقع "PalestineGallery" فى ڤانكوڤر بولاية واشنطن

عمل المنتدى الفلسطينى كمركز آخر لتبادل المعلومات والمناقشات التى تركز على حماس، حيث يجذب مستويات عالية من حركة المرور للاطلاع على المناقشات حول العمليات الأخيرة ونتائجها. كما تقدم محتوىً مرتبط بحملات تنظيم القاعدة، ومعظمها فى العراق، ويرتبط بقدر كبير من الموارد فى أماكن أخرى، لاسيما على المدونات التى تضم مئات الروابط لڤيديوهات مرتبطة بالقاعدة. وتسود الصفحات صور الزرقاوى، ورموز موقع "الندا" (من بينها العلم الأسود والحصان)، وصور "الشهداء". وكان لاستخدام أيقونات الدعاء والبكاء و"الغضب" فى المنتدى أهميته أيضًا. وسُجِّل المنتدى الفلسطينى فى بيروت.

لا تملك الجهاد الإسلامى فى فلسطين نفس الواجهة السياسية التى تتمتع بها حماس، لكنها احتفظت بأهميتها كلاعب فى السياسة والنضال الفلسطينى، وإطلاق العديد من العمليات الانتحارية فى إسرائيل. وكان موقعها Qudsway، من الناحية التقنية، موقعًا ديناميكيًا، ومثقلاً بالكامل (أو مشوشًا) بكائنات الفلاش والصور والروابط للمواد ذات الصلة. وقد يجد الأفراد الذين يفتقرون إلى عرض النطاق الترددى صعوبة فى تحميل هذا الموقع.

شملت اللافتة الرئيسية لموقع الجهاد الإسلامى فى فلسطين صورة أحد مؤسسى الحركة فتحى الشقاقى (١٩٥١-١٩٩٥) تجاورها صورة للمسجد الأقصى. أظهرت صفحة الفهرس علم إسرائيل المحترق، ووجوه بالفلاش للأطفال ونساءً يبكين وهن يمسكن بالقرآن، تليها صورة لمكة. وعرض رسم بالفلاش القدس، ومقاتلى الجهاد الإسلامى فى فلسطين، وحرق العلم الإسرائيلى. كما اشتملت

الصفحات على النشاط العملياتي، ومعلومات عن السجناء، وصور "للشهداء" و"الشهيدات". ويجرى تحديث موقع الجهاد الإسلامى فى فلسطين بانتظام بالأخبار وغيرها من البيانات من القادة، وفى ٢٠٠٦ سيطرت على الموقع الحملات ضد رسوم "يولاندس بوستن" الكارتونية على حساب الحملات المحلية. أما بالنسبة لتسجيل موقعها Qudsway فقد جرى تجهيله.

قد يكون هناك، فى بعض الأحيان، فراغ معلوماتى على الإنترنت، إذ إن بعض مجالات الجهاد الإسلامى فى فلسطين تتمتع بالموارد بشكل واضح أفضل من غيرها. يملك المؤسس الآخر للجهاد الإسلامى فى فلسطين، وهو رمضان عبد الله شلح (١٩٥٨-)، موقعه الخاص على الويب، والذى كان أقل ازدحاماً من موقع Qudsway؛ فى الواقع، كان موقعه مجرد اسم نطاق مع صفحة سبلاش، حيث لم تؤدِ أية من الروابط إلى البيانات والأخبار وغيرها من المواد إلى أى محتوى. وكانت صفحة مكرسة للشقاقى خالية بالمثل من المحتوى، وتؤدى ببساطة إلى صفحات شلح الخالية.

احتوى موقع Sabiroon.org المتصل بحماس، والمرتبط بكتائب القسام بتفاصيل منفذى العمليات المتوفين وروايات عن وفاتهم، والتى يُنْظَر إلى العديد منها باعتبارها "إصابات جانبية" غير متعمدة. سعى "صابرون" المسجَّل فى دمشق، إلى توفير قاعدة بيانات عن تفاصيل الشهداء (قابلة للبحث ويمكن تقسيمها إلى فئات)، رغم أن الواضح هو أن البيانات ليست منظمة بالكامل. كان القسم العربى بالموقع المتعلق بالشهداء أكثر تفصيلاً من حيث المضمون، رغم محدودية التماثل فى مواضع من الصفحات باللغة الإنجليزية. عرضت الصفحات العربية للعمليات بالتفصيل وكذلك لضحايا الحملات الإسرائيلية "الأبرياء". كانت المجالات الأخرى بالموقع، من بينها الأخبار والمعلومات عن السجناء، متفرقة باللغة الإنجليزية ولكنها

تُحَدَّثُ بانتظام فى مواضع بالعربية. بالمقارنة مع بعض المواقع، كانت مناطق فى صفحات كلتا اللغتين تعانى من ضعف الصيانة وتفتقر إلى التحديث المنتظم، مما يشير إلى فقر فى الموظفين والموارد. ونظراً لتشبع السوق، ربما كان هناك إحساس بأن إعادة إنتاج أنواع مشابهة من المواد فى غير محله، وأن الصفحات لابد أن تكون أكثر توجهًا بدقة نحو أسواق معينة. هناك أيضًا مسائل الرقابة ومحاولات إغلاق المواقع، مثل تلك المحاولات عن طريق مزودى خدمات الإنترنت والتدخل الحكومى فضلاً عن ضغوط من الفصائل الفلسطينية الأخرى.

كتائب شهداء الأقصى مسئولة عن صفحات "صوت فلسطين"، وهو منتدى على الإنترنت مزدحم بالمواد المنشورة والمشاركات. يستخدم أعضاء المنتدى أفاتارات [تجسيدات] تضم شعارات الأقصى وصوراً ذات صلة. تتجاوز المناقشات قضايا النضال، حيث تشتمل قوائم المواد المنشورة على الشعر والمسائل الشخصية. كما يعتمدون على الصور، والتى تشمل بطاقات المعايدة الرومانتيكية والأزهار المتحركة، عند مناقشة الشخصيات والقضايا المرتبطة بالقضية الفلسطينية. هذا الموقع نقطة دخول إلى المعلومات عن المنظمة وآخر بياناتها وتحديثات عملياتها. هناك مستوى عالٍ من المشاركة والعضوية، حيث تتلقى بعض المنشورات عشرات الآلاف من الزوار.

واتصالاً بهذا الموقع، تمتلك كتائب شهداء الأقصى، وهم الأتباع العسكريون لحركة فتح، العديد من المواقع مع معلومات عن أنشطتها. شمل هذا موقعيْن عربييْن رئيسيين قدما معلومات عن الأنشطة العملياتية، فضلاً عن تحميل البيانات والمعلومات "الرسمية". كان موقع kataebaqsa1.com أكثر ثراءً بالمحتوى (بناء على ما يبحث عنه زائر الموقع) من حيث توفير الملصقات والتحميل والمعلومات المُحَدَّثة عن الشهداء. وفى ٢٠٠٦ ظهر الشهداء بكثافة بجانب صورة لياسر عرفات

على الصفحة الأولى. وكان قسم الأخبار بها يجرى تحديثه بانتظام. وفر كلا الموقعين فرصة التعهد بالانتماء إلى المنظمة من خلال "بيانات" على الإنترنت تضم إشارات إلى الموقع على الويب. وكان هناك ترابط هائل بين الموقعيْن؛ ففى الموقع الثانى katebaqsa.org، معرض للصور يتصل بالشهداء والشخصيات الرئيسية فى المنظمة، ومن بينهم السجناء. فى مارس ٢٠٠٦ تحول بروتوكول الخاص بموقع kataebaqsa إلى أحد العناوين بسانتا مونيكا بولاية كارولينا. بينما تحول موقع kataebaqsa1 إلى شركة ماليزية/ سنغافورية.

هناك أوجه تشابه من حيث أنماط التصميم بين كتائب شهداء الأقصى وصقور فتح؛ ارتبطت هذه الوحدة بكتائب الأقصى وقدمت مواداً عن العمليات فى موقعها، من بينها ڤيديو كليبات لمقطع يصور التدريبات وصور فوتوغرافية للشهداء. كما رافق أحد أفلام العمليات، والذى تبلغ مدته خمسا وعشرين دقيقة، تلاوة قرآنية. خضع هذا الفيلم للمونتاج بمقاطع موسيقية متنوعة، مثل "الأناشيد" التى تحض على الجهاد لتحرير فلسطين. ظهر فيلم لأحد الصقور فوق خلفية للقدس. عرض الفيلم صوراً لأعضاء الكتيبة المتوفين وسط حقل أخضر يمثل الجنة، قبل عرض فيلم يظهر التدريبات والعمليات العسكرية، بينما كانت صورة ياسر عرفات تتابع الجلسات. أُستخدمت المؤثرات الخاصة فى كل الفيلم أثناء المونتاج، وفى بعض الأحيان كانت هناك أيضًا إشارات وثائقية بالڤيديو؛ تظهر فرقة عسكرية وهم يصلون، يقرأون بيانًا مُعَدّاً سلفًا، قبل أن تُطلق صواريخ أرض جو. اشتمل معرض الصور على صورة متنافرة مع بقية المشهد لـ"الشهيد سكرانى أبو حامد" وهو يجلس على كرسى مرتديًا شبشبًا، كما لو كان فى عطلة، بينما يقف منفذو العمليات الآخرون فى أوضاع أكثر عسكرية. سُجِّل الموقع عن طريق بروكسى من خلال شركة بولاية أريزونا. وهناك أمثلة أخرى عديدة من معارض صور الشهداء المرتبطة

فلسطين؛ احتفظ موقع khayma.com بقائمة الشهداء فى الفترة من ٢٠٠٠-٢٠٠٢.

يطبق موقع «دنيا الوطن» ومقره غزة منهج مجلة إخبارية مصقولة الصفحات فى نشر محتواه، حيث توجد بنود حول نمط الحياة والثقافة الشعبية وسط بيانات القادة السياسيين والمعلومات العملياتية. وبأكثر من طريقة، يشبه شكل الموقع البى بى سى نيوز أو موقع سى إن إن. كما وضع رابطًا لصفحات "المبادرة" التى تنظمها المبادرة الوطنية الفلسطينية. ولهذه الصفحات أساس فى مُثُل منظمة التحرير الفلسطينية، وقرنت نفسها بالنظم "الديمقراطية" تحت شعار "من أجل تفعيل الحقوق الوطنية الفلسطينية، وقيام سلام عادل ودائم". وفضلاً عن إنتاج مواده الخاصة باللغتين العربية والإنجليزية، خاصة أثناء فترة الانتخابات الفلسطينية، وضع موقع "المبادرة" روابط بارزة لتغطيات منظمات وسائل الإعلام الخارجية للمنطقة؛ لم يكن لـ"المبادرة" هوية دينية واضحة فى بياناته وتصميمه، وركَّز بدلاً من ذلك فى لافتته الرئيسية على العلم الفلسطينى والاحتجاجات ضد الجنود الإسرائيليين.

الإنترنت أيضًا مكان يُسلَّط فيه الضوء على محنة النشطاء المسجونين. على سبيل المثال، كان لحسام خضر، وهو عضو بالمجلس التشريعى الفلسطينى حُكِمَ عليه بالسجن لسبع سنوات فى ٢٠٠٥، موقع مكرس لقضيته. فى ٢٠٠٤ أدين مروان البرغوثى، وهو أحد كبار حركة فتح ومؤسس حزب "المستقبل" السياسى، فى جريمة قتل وحُكِمَ عليه بالسجن المؤبد خمس مرات؛ وفى السنة التالية، أصبح عضوًا بالمجلس التشريعى الفلسطينى. كان يجرى تحديث الموقع المسجَّل فى رام الله لحملة إطلاق سراحه فى نسختيه العربية والإنجليزية، وتتضمن مسودات للقضية الكاملة "دولة إسرائيل ضد مروان البرغوثى"، وصورًا للمحاكمة،

والملصقات، وروابط الحملة. وضمت النسخة العربية شعراً عن أبي نضال مؤسس فتح.

ساحات القتال الرقمية الفلسطينية: تعليق ختامي

ظل ثمة تناسج بين الإنترنت والحملات الخاصة بالمواقف المتعلقة بالقضايا الفلسطينية والتعبير عنها لفترة طويلة. تعكس هذه المواقف طبيعة الشتات التي يعيشها الشعب الفلسطيني، حيث عمدت شرائح منها إلى استغلال التكنولوجيا باعتبارها وسيلة ناجعة للتواصل بخصوص مجموعة متنوعة من القضايا. ليست كل وجهات النظر هذه إسلامية بالضرورة، الأمر الذي يعكس تاريخ الحركات الفلسطينية المعقد. قد يطلق عليها مسميات متعددة، وليست هذه المسميات دائماً مكملة لبعضها؛ قد يكون "إسلامي" مسمى واحداً لكنه ليس بالضرورة أولوية للكثير من الناس. وقد يكون تسمية العرب الذين يعيشون داخل حدود إسرائيل الحالية "فلسطينيين" محل تساؤل. ويلعب السكان المسيحيون الفلسطينيون دوراً داخل هذه الشبكات والانتماءات وخارجها.

جعلت الطبيعة المتغيرة للشعب، وقضاياه، ومواقعه ضمن مصفوفة دينية سياسية – طبيعة قادرة على الاتصال بالقضايا ذات الصلة، بل وفي بعض الحالات، تُوَجَّه نحو "العدو" – مسألة الحوار الفلسطيني على الإنترنت مسألة معقدة بوجه خاص. كما تشكل نصاً تحتياً مهماً للتطورات الجارية في المنطقة. هناك وعي عميق بأهمية الوسيط السيبري لجميع أولئك المرتبطين بالحملات "ذات التوجه الديني" في فلسطين.

تشكل تلك الآلية بديلاً لأشكال وسائل الإعلام التقليدية التي تتناول القضايا الإسلامية الفلسطينية مثل الصحف ووسائل البث. قد تكون بعض هذه الصحف والقنوات مملوكة لفلسطينيين أو لديها مكاتب ومراسلون في المنطقة أو كليهما.

وسائل الإعلام هذه متاحة أيضًا الآن عبر الإنترنت، رغم أنها ليست جميعها بالضرورة إسلامية فى توجهها. هناك أيضًا فلسطينيون يسهمون فى أشكال وسائل الإعلام والقنوات الأخرى، مثل القنوات الفضائية ووسائل الإعلام العربية، والتى قد يكون لها منافذ على الإنترنت أيضًا. أصبحت تكنولوجيا المعلومات فى ظل هذه المعادلة المعقدة وشبكة الأفكار والحملات - عنصرًا حاسمًا لأولئك الذين ينظمون حملات لتحرير فلسطين، لاسيما الذين لديهم رؤية إسلامية لمستقبل المنطقة.

خاتمة:

تحول البيئات الإسلامية السيبرية

يوضح كتاب "مسلمون افتراضيون" ما يحدث عندما يجتمع عنصران من العناصر التى تهيمن على تشكيل الحياة فى القرن الحادى والعشرين، وهما الإسلام والإنترنت. وسواء نَجَمَ عن اجتماع هذين العنصرين انفجارٌ أو مجرد أمواج لطيفة مترقرقة يظل هذا أمرًا مفتوحًا للنقاش. وعلى الرغم من أنه لا يمكن تعميم ترتيب تتابعى مُسلسل على مثل هذه المجموعة العريضة من المتغيرات، إلا أن بعض الأنماط الأساسية ظهرت ضمن الإنترنت الإسلامى الناشئ.

لا تُحْدِث هذه الأنماط تأثيرها في اتجاه واحد بالضرورة، إذ إن أنشطة "المسلمين الافتراضيين" تركت أثرها على الأشكال النوعية لأنشطة الإنترنت وعملت بمثابة عالَمٍ مصغر يجسد القدرة المحتملة لتكنولوجيا المعلومات كوسيط يعمل على تحويل الشبكات والمجتمعات. أظهر الاستخدام المبتكر للمعدات والبرمجيات باسم الإسلام أن "المسلمين الافتراضيين" يتحدون الحواجز ويخلقون سوابق لنشاط مدعوم بالكمبيوتر. يولِّد الوسيط أيضًا توقعات جديدة للاتصالات والشبكات باسم الإسلام تتجاوز تلك التي تصورها "المسلمون الافتراضيون" (أو تُصُوِّرَت من أجلهم) حتى في بداية القرن الحادي والعشرين. جابهت هذه التوقعات، بالنسبة للبعض، الصور النمطية المرتبطة بالاستخدام الإسلامي والمسلم للتكنولوجيا.

أحد الأمثلة التي نوقشت في هذا الكتاب هي أثر التدوين كأداة للتعليق وتبادل

المعلومات. من الآثار غير الحميدة كلية أن الإنترنت قاوم أيضًا الحواجز التى تقف أمام تطور الوسائط اللوچستية الديناميكية للدعاية الجهادية. يعزز هذا بحث كاستيل عن "عملية التغير التكنولوجى الثورى" واقتراح أيكلمان بشأن "تكوّن أشكال جديدة ومتداخلة من الجماعة، والالتزام، والارتباط".

وقعت هذه العمليات بسرعة ولا تزال فى تطور مستمر. أما بالنسبة للسوابق، لا يسعنى إلا التفكير فى توسع الإسلام وتشكل شبكاته بأسلوب متسارع فى القرن السابع الميلادى – منذ ظهوره فى شبه الجزيرة العربية فى ظل رعاية الرسول محمد (ص) الذى أتاه أمر الله "اقرأ!" فى ٦١٠م، وتوسعه عبر القارات حتى وصل إلى أوروبا الغربية والصين والهند وإفريقيا جنوب الصحراء الكبرى (بين أماكن أخرى) بعد مائة عام. رددت تلك السابقة أصداء شبكات التجارة والمعرفة التقليدية فى

العصور السابقة للإسلام، والتى أضيفت إليها العوامل الاجتماعية والعسكرية والسياسية، مع ازدياد الرسالة عمقًا من خلال التكرار والتأويل. وجاء التوسع المعاصر فى الخطاب الإسلامى من خلال الإنترنت متلازمًا مع عوامل خارجية وإن لم يكن أقل إبهارًا.

لا أود أن أقدم صورة مثالية فى هذا الصدد. فعلى الرغم من أن إعادة ربط شتات دار الإسلام رقميًا لم تخلُ من صعوباتها وأنه مازال ثمة كثير من الجهد التطويرى الذى يجرب الاضطلاع به، لكن المؤكد أن هناك مستوى عاليًا من الكفاءة الوظيفية فى خطاب المسلمين الافتراضيين على الإنترنت. أعاد الإنترنت تشكيل حدود الشبكات المسلمة، وخلق حوارات جديدة، وأتاح مسارات جديدة للمعاملات فى اقتصاد المعرفة الإسلامية. تتمتع الآن البيانات والمحتويات، التى كانت تعانى من قبل من دورة التداول القصيرة فى شكلها المطبوع، بقيمة مضافة من خلال الذيل الطويل للتوزيع والأرشفة والقابلية للبحث الإلكترونى. جعلت تلك القيم نفسها اقتصاد المعرفة الإسلامية اقتصادًا عالميًا وتنافسيًا على نحو متزايد بالنسبة لبعض اللاعبين، فيما عززت أيضًا الأدوار الإقليمية والمحلية لبعض مقدمى الخدمات.

سعى هذا الكتاب، فى صراعه مع البيانات الهائلة سريعة الزوال، للاستجابة للأثر الذى أضفاه هذا الإنترنت دائم التوسع على القضايا التى تتجاوز الوجود المحلى وأشكال الخطاب التى تمخضت عنها. وأوضح هذا الكتاب أن هناك العديد من التفسيرات المرتبطة باستخدام الخطاب المسلم على الإنترنت وتنفيذه. اقتصاد المعرفة الإسلامية اقتصادٌ ثبتت استجابته للابتكار التقنى، وهو مكرس لجذوره بقدر تكريسه لمعدِّيه ولمن يوجهونه وآليات ذلك. تتخلل مستويات شتى من التدين واللغة الدينية البيئات الإسلامية السيبرية أيضًا. ويمكن للشبكات المسلمة أن تتخذ أشكالاً وواجهات عديدة، كما تتوصل فى بعض الأحيان إلى مشتركات فى بعض المجالات

المرتبطة بالأطر المفاهيمية والتفاهم الدينى. لكن لاشك أن الصراعات تتبدى بعامل تحفيز أيضًا فى بعض مناطق البيئات الإسلامية السيبرية، سواء كانت صراعات بين المسلمين وغيرهم أو مع بعضهم أو صراعات موجهة إلى أهداف أخرى. ورغم حقيقة أن العديد من القطاعات فى العالم الإسلامى ما زالت لا تتمتع بفرص للوصول للإنترنت، بات الإنترنت أداة مهيمنة للتعبير الدينى الإسلامى ومكانًا مهمًا لملاحظة الاتجاهات والقيم المتحولة والمرتبطة بأشكال الإدراك المفاهيمى للإسلام.

ليس المقصود فى هذا الكتاب الإيحاء بأن الأجيال السابقة على الإنترنت كانت بالضرورة غير متغيرة أو ثابتة بطبيعتها، إذ تأثرت تلك الأجيال أيضًا وبشكل كبير بالعوامل السياسية والثقافية والعسكرية والاجتماعية والدينية والتكنولوجية. تؤثر هذه العناصر أيضًا على حياة المسلمين وشبكاتهم المعاصرة. غير أنه ليس هناك شك فى أن هؤلاء "المسلمين الافتراضيين" المتواجدين على الإنترنت بشكل دائم أو الذين يدخلون عليه بانتظام يستطيعون الآن رؤية العوالم المسلمة بشكل مختلف عن الأجيال السابقة، وأن أنماط الحياة الإسلامية تعدلت وفقًا لذلك. فعلى سبيل المثال، قد تخضع مواقيت الصلاة والصوم لقاعدة بيانات على الإنترنت. كما أن البحث داخل قاعدة بيانات عن إحدى الفتاوى، أو طلب التماس من أحد المراجع بالبريد الإلكترونى قد يؤثر على ممارسة الشعائر. ويمكن أن تتشكل العلاقات بين الجنسين من خلال الإنترنت، سواء كانت ذات طبيعة شخصية أو فى إطار العمل. قد يُعاد تشكيل الولاءات، مع تطور صلات جديدة مع المرجعيات الدينية أو القادة السياسيين أو كليهما. ويستطيع المسلم الافتراضى، باستخدام هواتف البلاكبيرى والهواتف المحمولة وأجهزة المساعد الرقمى الشخصى، الوصول دائمًا إلى بيانات عن الإسلام – سواء كانت مواقيت الصلاة أو فتاوى فقهية أو القرآن أو موقع أقرب مسجد عن طريق خرائط جوجل. يستجيب الوسيط للتغيير، سواء كان تكنولوجيًا أو

دينياً بطبيعته، بما يجعل الموارد "متجددة دائمًا" ومؤثرة بخلاف وسائل الإعلام المطبوعة التقليدية.

لفكرة وجود الإسلام "أونلاين دائمًا" إمكانية تشكيل الطابع الديني وأشكال الفهم الشخصية لأولئك الذين يختارون تطبيق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بهذه الطريقة. يمكن أن تمتاز هويات "المسلمين الافتراضيين" بعلاقة تكافلية مع الإنترنت، لكن ذلك يتطلب قدراً من السيطرة؛ إذ ينبغي على الفرد أن يتخذ قراراً واعيًا لتشغيل جهاز ما والاتصال بخدمة ما قبل العثور على موقع أو مورد يختاره. لا يتوفر الفائض المعلوماتي في السوق الإسلامية فحسب، وهو ما عرضناه في جميع أرجاء هذا الكتاب، بل إن هناك أيضًا فائضا معلوماتيا في جميع أنحاء الإنترنت برمته.

مما لا ريب فيه أن عدد المواقع والمحتوى الإسلامي قد تزايد أثناء كتابتي لهذه الفقرات. إن إدارة هذه الكمية من البيانات ومعالجتها ليست مجرد مسألة تخص مطوري الرقاقات متناهية الصغر ("الميكروتشيبس") لكنها تخص المستخدمين أيضًا. قد يحرم اقتصاد المعرفة الإسلامية "الأونلاين دائمًا" الفرد من فرصة التأمل، رغم أن التأمل قد يتم بواسطة الكمبيوتر بطبيعة الحال. عملت الأشكال والتطبيقات المتعددة والمرتبطة بمواقع الشبكات الاجتماعية وويب ٢,٠ إلى زيادة كمية، إن لم يكن نوعية، المواد ذات الصلة بالإسلام والمتاحة في الفضاء السيبري وما يتجاوزه، إن لم يكن نوعيتها أيضاً.

تَقاطَر الوصول إلى تكنولوجيا المعلومات من الشرائح الثرية من المجتمع إلى تلك الأقل ثراءً. يتعلق أحد الأسئلة المثيرة للاهتمام بأنه سيكون ثمة فجوة، ليس بين الأثرياء والفقراء، بل بين المتصلين بالإنترنت وغير المتصلين به باختيارهم. وفيما يوحي المسلمون الورعون بأن الإسلام موجود دائماً وواجهة الكمبيوتر ليست

ضرورية، فإن ثمة خياراً الآن للاتصال الدائم بالإسلام عبر تكنولوجيا المعلومات. وقد يفرض هذا ضغوطًا على بعض الأفراد، خاصةً أولئك الذين يسعون إلى تقسيم الدين داخل تصنيفات مغلقة فى حياتهم اليومية.

بات من العسير بصورة متزايدة العثور على أماكن ليس لتكنولوجيا المعلومات دورٌ فيها. على سبيل المثال، تدمج مراكز التسلية المنزلية محتويات الإنترنت ببرامج القنوات الفضائية المتاحة حسب الطلب أو التليفزيونية المتاحة للمشتركين فقط. دخلت القنوات الإسلامية ضمن خيارات المشاهدين. وكما هو الحال مع الإنترنت، علينا أن نتساءل: مَنْ الذى يشاهد هذا المحتوى ويتفاعل معه فى مثل هذه البيئة ذات القدرة التنافسية العالية والغنية بالمعلومات؟ تعمل أجهزة الكمبيوتر فى كثير من المنازل بشكل دائم، ويمكن أن تقدم مجموعة واسعة من مواد الوسائط المتعددة التى كانت غير معروفة تماماً فى التسعينيات. أولئك "المسلمون الافتراضيون" الذين يشعرون بأن من واجبهم التواجد بانتظام على الإنترنت للحفاظ على الانتماءات والشبكات والعلاقات على الإنترنت وتعزيزها قد يفعلون ذلك على حساب الشبكات التقليدية. كما أضاف تطور منتجات الإنترنت الإسلامية، مثل IslamicTube، IslamicTorrents وMuslimSpace مستوى من الأمان والإتاحة بالنسبة للبعض.

يعتقد بعض النقاد أن للإنترنت تأثيراً ضاراً على المجتمعات الإسلامية من خلال تقديم قيم يُرى لها دلالات ضمنية سلبية ذات صلة بالأنساق الأخلاقية والمعنوية. وهذه، بالطبع، ليست مجرد آراء تعبر عنها بعض الدوائر الإسلامية. كان لموضوعات مثل انتشار أنشطة الشبكات الاجتماعية وأثرها على العلاقات، أو إدمان البورنوجرافيا، صدى بين العديد من نقاد الويب. ولاشك الآن، ورغم هذه العوامل، أن الإنترنت وُجِدَ ليبقى، وأن المطلوب مستوىً من التكيف مع بيئة وسائل الإعلام، خصوصًا نظرًا لزيادة فرص الوصول إلى الإنترنت التى سهلتها الهواتف المحمولة.

لابد من النظر إلى تطورات الإنترنت باقترانها بالأطر المتحولة المرتبطة بالمرجعية الدينية، وتشمل تلك مفاهيم مرتبطة بلامركزية المواقع التقليدية مقارنة بسلطة "العلماء". مثلاً تمتاز فرص عرض القرارات المستندة إلى "الاجتهاد" ونشرها بأنها أكبر بكثير مما كانت عليه فى التسعينيات. ويستطيع أى فرد يرى نفسه (أو يعلن) أنه مرجع دينى أن يضع إعلانًا ويرفعه على موقع على الويب. أما ما يُطْلَق عليها أجندات الإصلاح الإسلامى، والتى قد تفتقر إلى الموافقة الحكومية، فلديها جمهور جاهز. على حين أنه قد أصبح بإمكان مَنْ هم بالهامش، ومن بينهم أولئك الذين يسعون لتنفيذ الممارسات الدينية الجهادية العسكرية، بث أفكارهم إلى جمهور عالمى فى الوقت الذى يأمنون فيه الرقابة نسبيًا.

عندما كنت أبحث فى مسائل المرجعية الدينية وصنع القرار فى منتصف التسعينيات، كان تدفق الاتصالات مقتصرًا نسبيًا على شرائط الكاسيت وأجهزة الفاكس ووسائل الإعلام المطبوعة. أستخدم البريد الإلكترونى، لكنه كان شاغلاً للأقلية إلى حد كبير. أجريتُ مقابلات مع العديد من "العلماء" الذين كانت أجهزة الكمبيوتر مستخدمة فى مكاتبهم عامة لإنتاج المواد التى سوف تنتقل بعد ذلك من خلال وسائل الإعلام التقليدية فقط.

تحدث إلىّ بعض هؤلاء العلماء من مكاتب تجاور دورًا للتحرير والطباعة والنسخ الإعلامى، والتى لعبت دورًا لضمان رواج أفكارهم وآرائهم. كنت فى العادة أغادر الاجتماعات بحقيبة مليئة بالأدبيات التى تبرر رؤاهم التفسيرية والسياسية. افتقرَ هذا، بالطبع، إلى المباشرة التى يمتاز بها الإنترنت اليوم. لدى تلك المكاتب نفسها الآن إدارات خاصة بالإنترنت، تُركز على محتوى الإنترنت بشكل قد يفوق وسائل الإعلام المطبوعة فى بعض الحالات، مع وجود علماء قادرين على قطع الطريق على الوسطاء عند الحوار على الإنترنت حول مسألة محددة. تشير المباشَرة فى بعض

السياقات إلى تحولات متميزة فى نماذج انتشار المعرفة وخلق المحتوى، فى ظل احتمال وجود تأملات متأصلة لا يسمها قدر كبير من الإعادة والتكرار كما فى حال فى المواد المطبوعة.

آنذاك لم يكن هناك مفهوم يمكن أن يكون ذا صلة بما أسماه هذا الكتاب بـ"المسلم الافتراضى". لم تكن فكرة إمكانية تفاعل الفرد مع المعرفة المقدسة على الإنترنت، بل وبلوغ جوهر التجربة الدينية، فكرةً دخلت بالفعل إلى الخطاب الإسلامى السائد. كان هناك أفراد عملوا على تقييم إمكانات هذا الوسيط، لكن المرجح أنه لم تكن لديهم أية فكرة حول كيفية التفاعل بين تكنولوجيا المعلومات والإسلام. ولم توفر التكنولوجيا وقتذاك نطاق الوسائط المتعددة المتاح حاليًا.

تطلب الوصول إلى المعرفة عادةً وسيطًا بشريًا، مثل "شيخ" أو "عالم" أو "بير" (مرشد أو معلم صوفى) أو "إمام"، شخصا يمكن استشارته إما وجهًا لوجه أو من خلال مصادر النصوص. كان ثمة عدد قليل من الخيارات البديلة؛ ولا يعنى هذا أن تلك القنوات التقليدية قد أُغْلِقَت، بل إن الفرص المحتملة للوصول إلى مسارات بديلة وإلى عُقد معلوماتية توسعت بصورة مضاعفة فى ظل الإنترنت.

أتذكر جيدًا حينما كنت أحضر جلسات فى باكستان حيث يأتى الأزواج إلى أحد العلماء ليطلبوا منه البركة وفتوى العلم الدينى بشأن الصعاب الأسرية التى يواجهونها. كان هذا يتطلب مقابلة وجهًا لوجه؛ لكن بالإمكان الآن إجراء مقابلة وحوار مماثل على الإنترنت. وبالمثل، أتذكر الناس الذين كانوا يقسمون يمين الولاء الدينى لأحد القادة الدينيين السياسيين فى باكستان، وهو عمل كان يتطلب أيضا إجراء مقابلة وجهًا لوجه. أما اليوم فيمكن إقامة نفس الإجراءات عبر الإنترنت. ربما لم تستبدل الممارسات التقليدية، لكن الخيارات البديلة أتيحت لأدائها عبر الإنترنت.

قد يتخذ تعريف "المسلم الافتراضى" أشكالاً عديدة. من الجلىّ أنه فرد متصل بالإنترنت، لكن هذا فى حد ذاته لا يوحى بزخم التفاعلات أو أشكال السلوك التى تتم عبر الإنترنت. ونتيجة لوضعى هذا الكتاب، يمكننى الآن أن أقدم بعض النماذج "للمسلمين الافتراضيين" (بدون أى ترتيب معين):

- المسلم الافتراضى يقضى عدة ساعات يوميا متصلاً بوصلة ADSL عالية السرعة، ويتشارك مع أقرانه الحديث فى غرف الدردشة أو إنتاج صفحات محتوى الإنترنت.
- المسلم الافتراضى يقوم بالمعاملات المالية المتوافقة مع الشريعة عبر هاتف البلاكبيرى.
- المسلم الافتراضى يبحث فى الإنترنت عن معلومات تتعلق بمسألة تفسير دينى.
- المسلم الافتراضى قد يزور مدونة إسلامية مرة واحدة فى السنة للاطلاع على النميمة والقيل والقال.
- يمكن للمسلم الافتراضى أن يستخدم الإنترنت كأداة دعوية لتحويل الآخرين إلى الإسلام أو إلى رؤية إسلامية للعالم.
- يمكن للمسلم الافتراضى أن يستخدم الإنترنت باعتباره شكلاً من أشكال الإعلام والعلاقات العامة لتوصيل الرسالة بفاعلية إلى جمهور محلى أو عالمى.
- المسلم الافتراضى نشط فى شكل من أشكال الإسلام ذى المغزى السياسى وسوف يستخدم الإنترنت للدعوة لتفسيرات محددة ومناقشتها مع أقرانه.
- المسلم الافتراضى يستخدم الهاتف المحمول فى ميدان القتال لرفع الأنشطة العملياتية التى تستمد قاعدتها اللوجستية من الكتيبات الجهادية على الإنترنت.
- المسلم الافتراضى يترجم مواداً من لغة إلى أخرى، ومن شكل الى آخر، ويقوم بتوزيعها.

● المسلم الافتراضى يرفع محتوى الفيديو والملفات المسموعة، سواء التى أنتجها بنفسه أو من مصادر خارجية.

● المسلم الافتراضى يقوم بالحملات حول مسألة محددة، وذلك باستخدام أدوات الشبكات الاجتماعية ورفع رسائل الفيديو عبر موقع يوتيوب. المسلم الافتراضى يستخدم الإنترنت للاتصال بشبكة أو جماعة ومتابعة أنشطة الأعضاء الآخرين أو أحد الزعماء الدينيين.

● قد لا يقترب المسلم الافتراضى من أى كمبيوتر إلا لضمان رفع الإعلانات أو البث عبر الإنترنت من قبل فريق متخصص.

هذه الفئات لا يستبعد بعضها بعضًا. يمكن أن تكون هناك درجات من التقاطعات. قد يقوم المسلمون الافتراضيون بأنشطة مماثلة أثناء اتباعهم لأجندات مختلفة تمامًا. وسوف يصبح تعريف المسلم الافتراضى أكثر اختلاطًا استجابة للتحولات فى التكنولوجيا، وأكثر شمولاً مع انفتاح الواجهات على اللغات الأخرى، وأكثر تمكينًا فى ظل رخص أسعار توسيع النطاق الترددى ورقائق الكمبيوتر. ولابد من إدخال الناس الذين يتأثرون بالمسلمين الافتراضيين أيضًا فى المعادلة. من الأسئلة المثيرة للاهتمام التساؤل حول ما إذا كان الأفراد داخل هذه الفئات يعتقدون أن تدينهم و"إسلامهم الافتراضى" يزداد كثافة وعمقًا عن طريق الأنشطة عبر الإنترنت. كان هذا هو الحال بالنسبة لبعض الواجهات، خصوصًا لأولئك الذين لا يرون إلا فارقًا ضئيلاً بين عالم الإنترنت والعالم الحقيقى.

سعى هذا الكتاب لإثبات أن المسلمين الافتراضيين لهم الكثير من الاهتمامات، التى لا يكمل جميعها بعضها البعض. قد يهيمن الخطاب الجهادى على قراءات وسائل إعلام البيئات الإسلامية السيبرية، لكن الواضح أن هذه ليست هى الصورة الكاملة. ولابد أن تستجيب دراسة الإسلام لهذا. هناك العديد من المناقشات الحالية

فى مجال الدراسات الإسلامية وأدوارها فى المستقبل. كثفت سياقات ما بعد ٩/١١ الاهتمام بجوانب محددة فى الإسلام والمجتمع الإسلامى، لكنها تحدت أيضًا دور القائمين على دراسة الإسلام. ظلت هناك مخاوف بشأن التدخل الحكومى الساعى إلى توجيه أجندات الدراسات الإسلامية الأكاديمية باتجاه مصالح استراتيجية محددة أو الترويج لأشكال محددة من الإسلام.

جرى الترويج لدراسات بعض أشكال الخطاب على الإنترنت فى محيط الجامعات فى محاولة للتصدى للأنشطة الجهادية المستمرة وليس من أجل الإضافة إلى البحث الأكاديمى. يمكن أن تكون هناك علاقة بين هاتين الدائرتين من دوائر المصالح داخل الجامعات، استنادًا إلى السياسة والدافع المالى. وهناك أيضًا أبحاث أكاديمية جادة، وغير ذات صلة بأية أجندات، فى وجود مصادر الإنترنت وبصورة متزايدة جزءًا من المرجعية الشاملة حول القضايا المعاصرة. حاولت بعض الجهات أن تستمد البصيرة والإلمام السريع بقدر أكبر من المعلومات من خلال الترويج للمؤتمرات "الأكاديمية"، رغم أن الاتجاه يبدو وأنه يدفع بتبادل المعلومات فى اتجاه واحد (الاتجاه الذى تتبناه تلك الجهات). ومن المفارقة أن نرى الجهات التى تسعى إلى الاستفادة من المهارات اللغوية والمعرفة فى هذه المجالات تتودد إلى الأكاديميين الذين كانوا يناضلون فى السابق للحصول على تمويل حكومى. واستفادت بعض المؤسسات بطبيعة الحال من السعى لملء الثغرات الموجودة فى الأسواق الأكاديمية لتلبية مثل هذه المطالب الذاتية، بالرغم من ردود فعل بعض الأكاديميين الراسخين المتشككة فى مسارات البحث الجديدة أو الإجبارية.

ينبغى أن تشكل دراسة أنشطة الإنترنت المتعلقة بالإسلام جزءًا من أية معادلة تسعى إلى مقاربة الخطاب الإسلامى المعاصر، وأنا أعى هذا من خلال العدد المتزايد من رسائل البريد الإلكترونى التى أتلقاها من الناس الذين يطلبون

المساعدة فى مشاريعهم البحثية. إحدى الخصائص الإشكالية لهذه الظاهرة هى أن التركيز على دراسة المواد الجهادية، وهو مجال يُحتمل الحصول من خلاله على تمويل أكثر، سيكون على حساب فهم الأشكال الأكثر هدوءًا نسبيًا للفهم الإسلامى التقليدى والمعاصر على الإنترنت. من المهم لكلٍ من التصورات المطلعة وغير المطلعة عن الإسلام والمسلمين أن تتلقى هذه العناصر أيضًا الاهتمام الأكاديمى الملائم. توفر مقاربة دراسة جميع جوانب الإسلام عبر الإنترنت، وخاصة التجربة الدينية، المواد التى لم تكن متاحةً قبل أواخر التسعينيات. يواصل متن مواد المصدر التوسع، فى وجود أسلوب مباشر للوصول للإنترنت لم يكن متاحًا لهؤلاء الذين كانوا يبحثون عن مقالات الدوريات والكتب التى لم تكن معروفة جيدا فى العصر ما قبل الرقمى. يفتح الإنترنت فرصًا لإتاحة المزيد من الرؤى والتحليلات المطلعة من منظورات محددة على ما يجرى فى العالم.

منطقيًا، ينبغى أن يكثف هذا فهم الإسلام، لكن ولسوء الحظ، تأتى هذه المواد فى بعض الحالات مغلفة غالبًا إما بخطاب معادٍ للإسلام أو بمحتوى يسعى لتقديم تفسير متجانس للإسلام بالتركيز على مدرسة فكرية أو فقهية واحدة. لفيض المعلومات دورٌ فى هذا وكذلك التمويل، إذ إن أولئك الذين يملكون أكثر الجيوب امتلاءً هم غالبًا الأعلى صوتًا على الإنترنت. يمكن أن ينقلب هذا مع استخدام أدوات ويب ٢,٠؛ كما يمكن أن يكون للمواد القاعدية المُنْتَجَة على المدونات وسياقات الشبكات الاجتماعية أصداء أعلى وأكثر تأثيرًا من المواقع الرسمية الرصينة.

على مستوى القراء، قد تولِّد أساليب إدارة المعلومات الفضول لدى البعض أو الحساسية للبعض الآخر، حيث يلعب موفرو المحتوى على سذاجة بعض القراء عند تبنى بعض التفسيرات والقضايا. سعت مجموعة من اللاعبين إلى استغلال

اهتمامات القراء وانتماءاتهم، بدءًا من الاهتمامات الحكومية إلى تلك الاهتمامات التى تعتبر راديكالية ومتطرفة. ويؤدى هذا بدوره إلى أشكال جديدة من الأبحاث، ترتبط بردود الأفعال حيال التكنولوجيا الجديدة وآثارها الاجتماعية الضمنية بالنسبة للمسلمين.

من الصعب التنبؤ بأوجه التكنولوجيا التى ستحظى بالشعبية؛ ففى الأيام الأولى من الإنترنت، كانت الرؤية مختلفة تماماً عن واقع اليوم. توقع عدد قليل تأثير البريد الإلكترونى، وأدوات التصفح والبحث، ومواقع الشبكات الاجتماعية، فيما هبط عدد من التطبيقات التى كانت مثار الاهتمام إلى أدنى المستويات. بات تحديد الأنماط الإسلامية فى هذا الفضاء المتغير والمتطور مشكلاً، لأنها لا تتوافق مع أناقة الأنماط الإسلامية المعهودة وتنسيقها كتلك الزخارف والقوالب الهندسية التى توجد فى المساجد والمبانى التاريخية. وقتئذ، أراد الحرفيون والمصممون الذين صنعوا تلك الزخارف والقوالب واستخدموها الإشارة إلى نمط لانهائى ونظام إلهى مقابل الفوضى فى هذا العالم.

سوف يستفيد تعامل الإنترنت مع البيئات الإسلامية السيبرية من زيادة المشاركات الأكاديمية، وخاصة من السياقات المسلمة. المشاركات الحكومية مؤكدة بشكل ما، على الأقل فى المناطق الجهادية والسياسية، ويسعى البعض أيضًا لإملاء المسئوليات الدينية واتجاه المتصفحين. يتطلب نطاق المشاركة أيضًا من المجتمعات المسلمة إلقاء نظرة فاحصة على خطاب الإنترنت وتحديد اتجاهه. ولا تزال الفجوة الرقمية بين الأجيال حادة فى بعض السياقات المسلمة. إذ نجد أنه حتى الكبار من الملمين بالإنترنت غير قادرين على مواكبة حجم النشاط واتساعه على الإنترنت، فى حين تُقابَل المحاولات حسنة النية والتى لا تتواءم مع طبيعة الفضاء السيبرى لتنظيم جوانب البيئات الإسلامية السيبرية أو وضع أحكام لها تُقابَل بالصمت أو الازدراء.

فى بعض الحالات، لا يزال الفتور والحيرة بشأن الإنترنت موضوعًا مهيمنًا على العقلاء الأكبر سنا فى المساجد. أُحْبِطَت محاولات أولئك الذين رتبوا لإطلاق صفحات إنترنت على أمل زائف بالوصول إلى الشباب، حيث نُظِرَ إلى هذا المحتوى على أنه رديء التنفيذ ويفتقر إلى روح العمل السرى، والتفاعل الاجتماعى، وديناميات غرف الدردشة والمدونات "الروشة".

تطفّر نموذج الفرد القابع أمام الكمبيوتر الشخصى، حيث تطورت واجهات متعاقبة لتمكين اتصالات الإنترنت على الهواتف المحمولة فى أشكال كثيرة. وفى السياقات المعاصرة، يمكن القول إن كل أشكال الميديا هذه رقمية فى نواحٍ كثيرة، ويرى البعض أنه لا يمكن الفصل بين الإنترنت ووسائل الإعلام الأخرى. غير أنه هناك وسائل إعلام متكاملة، بعضها ممأسس ورسمى ومنهجى؛ ويدخل بعضها الآخر فى نطاق القطاع الخاص؛ بينما يتسم البعض منها بأنه غير رسمى وفردى. وهناك نقاط تقع بين هذا وذاك، وحالة من الربط بين هذه المجالات. فى بعض الأحيان، يصبح من العسير أو من غير الضرورى التمييز بين الافتراضى وغير الافتراضى، إذ تتماهى أشكال التعبير الإسلامى، وتبرز سبل جديدة للتفاعل الإسلامى. كانت ردود الفعل إزاء قضية الرسوم الكاريكاتورية التى نُشِرَت بصحيفة "يولاندس بوستن" خير مثال على هذا النوع من التفاعل. كان هذا جزءًا من حوار قائم منذ زمن لكنه أوسع كثيرًا حول المسائل الثقافية والاجتماعية والدينية المرتبطة بـ"المقدس". وتستفيد هذه المناقشات، بدرجات متفاوتة، من مجموعة من اللغات والأساليب اللغوية، بدءًا من العامية إلى الفصحى المحسوبة.

هذا الشعور بمجال الخطاب المتدفق، والذى قد يدمج إشارات إلى مصادر دينية (بما فى ذلك القرآن)، وعامية الشارع فى الفقرة نفسها، شعور له أهميته. المهم أيضًا هو الإدماج الطبيعى لأشكال الميديا الأخرى فى المناقشة وبخاصة الصور

وأيضًا الأنواع الأخرى من التوثيق. ربما يكون استخدام الصور الفوتوغرافية والفيديوهات المستمدة من الهواتف المحمولة مهمًا أيضًا فى توفير المدخلات، خاصة مع تحسن الجودة الفنية لهذه الصور. غدا رفع محتوى الفيديو على يوتيوب والقنوات ذات الصلة عنصرًا لا ينفصل من عناصر التعبير على الإنترنت، مع إتاحة الخطب والتعبير الدينى (الذى يشتمل على أنشطة التلاوة والصلاة والحج). وبات ويب ٢,٠ مضافًا طبيعيًا للتعبير عن القضايا الدينية؛ رُفِعَ فيلم "الاستسلام" المثير للجدل لأيان هيرست على وثيو قان جوخ على يوتيوب أيضًا، إلى جانب روابط من منتقديه ومؤيديه، فى إشارة إلى إمكانية مشاهدة رؤى متنوعة حول القضايا الإسلامية وقضايا المسلمين.

تدفع التكنولوجيا قُدُمًا بالأساليب التى يختار بعض المسلمين التعبير عن أنفسهم من خلالها على الإنترنت. يمكن أن تُطلِق بعض الأحداث تحولات فى الطرق التى يستخدم بها المسلمون الافتراضيون التكنولوجيا. كان أحد الأمثلة هذا هو استخدام التدوين والفيديو المتكامل أثناء غزو لبنان فى ٢٠٠٦، بما فى هذا استخدامات فصائل وصفت أنفسها وتصرفاتها بأنها "إسلامية". جذب المحتوى جمهورًا عالميًا عندما استمدته وسائل البث السائدة، ومن بينها القنوات التليفزيونية الإسرائيلية. كان للثرثرة على الإنترنت حول قضايا فى لبنان أن تغيِّر تصورات الأحداث من قبل الأطراف وتضمن عدم التصنيف التقليدى للقضايا المهمة بسبب عدم قدرة وسائل الإعلام السائدة على الوصول إلى الأحداث بشكل مباشر. كان جليًا أن الكثير من الأحداث المهمة فى العوالم المسلمة التى تتمتع بثقافة الإنترنت ستلقى على الفور تغطية عبر المدونات، حيث تقدِّم زوايا تستكمل ما تقدمه وسائل الإعلام التقليدية أو تتعارض معه فى بعض الأحيان.

أدت تصريحات البابا بنيديكت السادس عشر حول الإسلام فى وقت لاحق من

ذلك العام، التى تصوَّرها البعض بأنها "معادية للإسلام" فى تركيزها السلبى على النبى محمد (ص)، إلى رد فعل متنبَّأ به فى غرف الدردشة والمدونات. أما ما لم يكن متوقعًا بنفس الدرجة فكان هو الارتفاع الحاد فى عمليات طمس مواقع الإنترنت التى قام بها القراصنة ومخترقو المواقع الساعون للاحتجاج على بيان البابا، حيث سُجِّلت ٥ آلاف حالة طمس لمواقع على الويب خلال فترة أسبوعين فى سبتمبر ٢٠٠٦. بيد أنه فقد كانت ثرثرة الإنترنت الإسلامية عن البابا وعن لبنان تتناقض بصورة موسّعة ملحوظة مع مدى تغطية مناطق فى مجالات تفتقر عمومًا إلى بنية الإنترنت أو تغطية وسائل إعلامية عامة مثل دارفور.

وضعت بعض المواقع ذات الصلة بالنضال، ومن بينها تلك التى تحمل أجندة جهادية، روابط لمثل هذه المناقشات، حيث نظرت إلى هذه القضايا كفرصة للدعوة. وشمل هذا دوافع لأنشطة القرصنة واختراق المواقع. المواقع التى تقدم المشورة حول القرصنة ليست جديدة، لكن مجموعة صفحات "الجهاد الإلكترونى" قدمت مقاربة صريحة وبراقة لهذا الموضوع. جرى تداول عدد من القصص المخيفة حول القرصنة والجهاد فى ٢٠٠٧، مع مرور الموعد المحدد لحملة جهادية روِّج لها بشكل كبير دون وقوع حوادث.

كانت وزارة الشئون الإسلامية السعودية واحدة من العديد من الجهات التى أطلقت موقعًا على الويب فى محاولة لمكافحة النشاط الجهادى من هذا النوع. عبَّر طارق الحميد من صحيفة "الشرق الأوسط" عن دهشته من أن القاعدة استمرت، بالرغم من هذه التدابير، فى تجنيد الأتباع داخل المملكة السعودية: "منذ شهر مضى سألت مسئولاً أمنيًا سعوديًا لماذا ينضم الشباب إلى القاعدة وكيف يحدث ذلك رغم النجاحات السعودية المستمرة فى مكافحة الإرهاب؛ فأجاب: «بسبب إمام الخداع». ولما سألت عن هوية «إمام الخداع» أجاب «الإنترنت!»". يوحى التأثير

الملحوظ والحاضر للإنترنت الذى تصوره هذا المسئول بأن الحفاظ على السيطرة على الإنترنت، رغم استثمار الموارد المستدام، يظل مشكلاً بالنسبة للحكومة السعودية وغيرها من الحكومات.

من الواضح أن التحدى لا يزال قائمًا أمام السلطات المسلمة والأفراد بشأن كيفية التحكم فى الإنترنت وبيان الوعى بكيفية إمكانية تغييره لكل حياة المجتمعات والأفراد. هذه ليست، بالطبع، قضايا إسلامية حصريًا؛ فالمواقع الجهادية لها نظراؤها فى السياقات الثقافية والدينية والسياسية الأخرى. وتخترق المناقشات عن أثر الإنترنت مجالات أخرى عديدة بعيدًا عن السياقات الإسلامية.

يدرك حتى أولئك الذين ما زالت مقاربتهم لجوانب الإنترنت تتسم بالسلبية أن الوسيط لن يتوارى، بل فى الواقع سوف يواصل تطوير حياة الأفراد والجماعات والتأثير فيها. يشير عدد المنصات والرؤى التى ظهرت على الإنترنت، أو التى عملت على تحسين مُنْتَجِها على الشبكة، إلى الاعتراف به ضمن مختلف العوالم الإسلامية. ثمة إدراك بأن فوائد الإنترنت يمكنها تعزيز الهوية الدينية، والتماسك المجتمعى، والترويج لخيارات أنماط حياة معينة. سُلِطت الأضواء على هذا عندما استعانت جماعة "التبليغ" بخدمات شركة للعلاقات العامة، وأطلقت موقعًا على الويب بجانب محتوى على يوتيوب لدعم إنشاء "مسجد كبير" فى شرق لندن.

ربما يمثل هذا أيضًا وعيًا بأن النت لم يعد وسيطًا للنصوص فحسب، بل يمكنه أن يعمل كقناة فاعلة تُستخدم فيها جميع قنوات الوسائط الإعلامية. وباتت التلقيمات الإخبارية، وكليبات الفيديو، والبث المباشر، ومساحات التحميل، والمنتديات، والمدونات، والبودكاست، وأدوات تعليم الفلاش، والمواقع الدينامية الى يجرى تحديثها بانتظام هى القاعدة وليس الاستثناء.

وعلى الرغم من أن الربط الشبكى المسلم مازال يعمل بطرق تقليدية غير

تكنولوجية، لكن النبض الاجتماعي والديني نبض رقمي. بيد أن هذا لم يَحُلْ بالضرورة دون زيارة الناس للمساجد، أو ممارسة شعائر الإسلام في البيوت، أو الحياة بأسلوب إسلامي تقليدي. ربما تأثرت طبيعة ذلك التعبير، بشكل غير ملموس أو علني، بمحتوى الإنترنت من خلال رأى عُثِرَ عليه في مدونة، أو بفيديو كليب شوهد على يوتيوب، أو فتوى طُلِبَت من "إسلام أون لاين". تداخل الآن خيط الخطاب السيبرى في نسيج المجتمعات الإسلامية. لن يكون الناس أقل تمسكًا بالإسلام عند استخدامهم للنت؛ بل في الواقع، قد يعزز هذا تدينهم. ولن يصلوا صلوات أقل عندما يتحولون إلى النت، لكنهم قد يتفاعلون مع الدين بشكل مختلف، حيث يتعرضون للمزيد من المعلومات عن الإسلام وأشكال المعرفة المتعلقة به.

من الواضح أن النظر إلى كل هذا باعتباره مفيداً يختلف باختلاف زاوية الرأى، خاصةً أن "إمام الخداع" أصبح في الصورة. يشير الكثير من الناس، من بينهم أولئك الذين ينتمون لثقافات مسلمة، إلى أنهم وجدوا طريقهم إلى الإسلام على الطريق السريع للمعلومات. ولا يضم القطاع الذى تبنى هذا بأقصى قوة – وهم الجهاديون – الأغلبية العددية من المسلمين. قد تثير بعض موضوعات حملتهم تعاطف مجموعة أوسع من القراء، حتى لو اُعتبرت منهجيتهم مقيتة ومنافية للإسلام.

من المفارقات المؤكدة أن نجاح الجهاديين على الإنترنت قد يكون هو الذى حفز قطاعات أخرى كى تصبح أكثر نشاطًا في الفضاء السيبرى وتناغمًا مع عواقبه. ويعطى الاستثمار المتواصل في الخدمات التى يقدمها الأزهر عبر الإنترنت مؤشراً على ذلك. ومن العوامل المهمة الأخرى التى لابد من وضعها في الاعتبار هى العلاقة بين وسائل الإعلام الأخرى مثل القنوات الفضائية، والخدمات على الإنترنت، مثل تلك الخدمات التى يقدمها أتباع يوسف القرضاوى. كم سيمضى من الوقت قبل أن

يفضل القرضاوى موقع "إسلام أون لاين" على الجزيرة باعتباره منفذه الإعلامى المختار؟ قد يمنحه هذا الثقة ليقول ما يشاء أن يقوله، مع علمه أن منفذه البديل يمكن أن يوفر بثًّا مباشرًا وإعلامًا لجمهور دولى يفوق أثر الجزيرة.

ربما يكمن الفرق فى أنه من غير الوارد أن يجذب موقع "إسلام أون لاين" المشاهدين بنفس الأسلوب غير المخطط له الذى يشاهد به الجمهور الجزيرة فى مقاهى و"أسواق" الشرق الأوسط. فالآليات اللازمة لمشاهدة الجزيرة أسهل، لأن بث الجزيرة مباشر ومستمر ولا يستلزم البحث عبر الإنترنت من خلال زيارة العديد من الصفحات. وقد يتغير هذا الوضع حين يصبح تليفزيون الإنترنت متاحًا عبر الأجهزة المنزلية، ويصبح أكثر يسرًا وأوسع نطاقًا.

وعندما يحدث ذلك، ستصل منافذ مثل "إسلام أون لاين" إلى وضع راسخ استراتيجيًا يتحدى وسائل البث التقليدية ويلحق بنطاق القنوات الإسلامية المتاحة الآن. غدا مفهوم خدمة الوسائط المتعددة المتكاملة التى تُبَثُّ بثًّا مباشرًا من خلال واجهات متعددة، لا تعدو أجهزة الكمبيوتر الشخصية المخصصة أن تكون سوى جزء واحد منها، حقيقة واقعة. لكن اعتبار هذه بيئات إسلامية سيبرية مسألة أخرى. الصحيح هنا أن اللاعبين الأصغر سيكون لهم صوت أيضًا وسيسعون لتمكين تعبيرهم الخاص فى سوق يزداد ازدحامًا. لكن وضع الآراء والمواد فى الفضاء السيبرى شىءٌ، وتواجدها وقراءتها فى منطقة مشبعة شىء آخر تمامًا. وربما يصبح تحديد الخدمات والأصوات المتميزة أكثر إشكالية. وفى الوقت الحاضر، يتطلب العثور على بعض المواد بحثًا عميقًا أو زيارات مفصلة لقوائم عناوين المواقع على البوابات وقوائم المدونات.

نمت قائمتى من المدونات الإسلامية نموًا سريعًا أثناء عملى على هذا الكتاب، رغم أننى أدمجت نموذجًا لمراقبة الجودة غير العلمية فى محاولة لوقف تدفق

الروابط. أصبح البحث عن مواد جديدة إدمانًا يستهلك الوقت بعيدًا عن قراءة المصادر الراسخة. بنيتُ قراءتى على خلاصات الآر إس إس (التى تشير إلى العناوين الرئيسية أكثر من مضمون خبر ما) أو البرامج التى تخبرنى كلما وقع أى تحديث لمدونة مفضلة لدىّ. ويوحى هذا بأن سيكون من المجالات المهمة فى مستقبل البيئات الإسلامية وليس مجال توفير المحتوى بل الإرشاد وإدارة المعلومات. يجد "مرشد" الإنترنت أو المستشار الروحى الذى يوجه التلميذ فى اتجاه المصادر والمشورة، فى الواقع، أصداء من العلم الإسلامى التقليدى والذى يعود تاريخه إلى بداية إقامة الشبكات المسلمة. ويكتسب الإلمام بالطريق داخل المكتبة أهمية متزايدة تحول دون المعاناة من فائض المعلومات.

هناك تحسن وتطور مستمر فى الطرق التى يستخدم بها الأفراد والمجتمعات المسلمة ميديا الإنترنت، وهى جزء من تطور عالمى متزايد فى مجالات أخرى. لا يوجد أى سبب يدعو المسلمين للاستجابة بشكل مختلف لزيادة توافر الأدوات التقنية مثل برامج المدونات وتحسين فرص الدخول على شبكات الإنترنت. القضية نفسها مسألة إسلامية على وجه التحديد، والشخصيات الرئيسية أفراد متماهون مع الإسلام بدرجات متفاوتة.

وفيما لا يزال مثل هذا الحوار ظاهرة أقلية عددية، فإن صحتها تكمن فى الطرق التى يمكن من خلالها تنوير عوامل التغيير الرئيسية والسماح بنشر الآراء بسرعة عبر سياقات أوسع. كما أنها تيسر الوصول إلى الأفكار بين مختلف السياقات المسلمة وداخلها، وتسمح أيضًا بفتح نافذة على القضايا المسلمة المعاصرة أمام "غير المسلمين".

وفيما يشعر البعض بضرورة كتابة التقارير وتسجيل رؤاهم الخاصة، ويعتقدون أن من الطبيعى تمامًا الاستفادة من الفضاء السيبرى لتحقيق ذلك، يسعى آخرون

إلى دمج أفكارهم مع أفكار غيرهم من المدونين. ولا يزال التساؤل حول إمكانية أن تكون التصريحات عبر الإنترنت بديلاً عن الحملات فى العالم الحقيقى مطروحًا للنقاش. وتظهر أيضًا مجموعة من المصادر المختلفة المتجاورة ضمن وثيقة واحدة على الإنترنت؛ على سبيل المثال، قد تضع مدونة غير رسمية رابطًا لفتوى فقهية تقليدية "بشكل طبيعى". بحيث يكون ثمة شعور بأنهما يؤلفان شكلاً جديداً من أشكال الحوار الإسلامى بينما يحددان أيضًا أن ثمة صلة بالخطاب والقضايا "غير الرقمية".

أبرز هذا الكتاب أن النموذج التقليدى للأمة إسلامية قد تغيَّر، على أحد المستويات، على الإنترنت مع تطور برامج الشبكات الاجتماعية التى تؤدى إلى أشكال بديلة من الانتماءات والصداقات. وانفتح عدد كبير من المجتمعات على شبكات مسلمة جديدة وطوَّرها. تتعلق هذه القضايا على وجه التحديد بأنواع الخدمات على الإنترنت التى جرى الترويج لها بشدة فى ظل ويب ٢,٠؛ لكنها فى الحقيقة تمثل جزءًا من نمط خدمات الإنترنت المتطور باستمرار. يتيح استخدام تلك الخدمات فى سياقات محددة النظر فيما إذا كانت أشكال التعبير الإسلامى تتطور فى حد ذاتها باستمرار، فيما تتجاور فى الوقت نفسه مع عناصر من القيم والاتجاهات الإسلامية التقليدية.

يمكن أن تدخل البيئات الإسلامية السيبرية إلى عوالم الميديا الأخرى مع حفاظها على تفردها وأساليبها فيما يتعلق بمصالح وسياقات أصحابها وكتابها وقرائها. ويمكن لهذه العوامل أن تتصل بنقطة مُلزِمة بدرجات متفاوتة. فهى تمثل العلاقة بين الفرد والفهم الدينى والثقافى والسياسى والاجتماعى، بالإضافة إلى شعور بالهوية يمكن رعايته ولمسه فى الفضاء السيبرى كما فى العالم غير الرقمى.

ليست تحسينات البرمجيات، والمفاهيم الجديدة فى توزيع المعلومات، والتوسع

فى الوصول الأفضل إلى الإنترنت سوى بضعة أبعادٍ تؤثر على البيئات الإسلامية السيبرية. ينبغى أن تقترن الديناميات الخارجية للمعدات العامة والابتكارات فى مجال البرمجيات بالديناميات الداخلية المتصلة بتطور البيئات الإسلامية السيبرية. للعديد من جوانب العقيدة الإسلامية الآن حضور على الإنترنت. وتبين الشبكات الجديدة التى تستند إلى ويب ٢,٠ أن البيئات الإسلامية السيبرية لا تزال تتطور، حيث يضطلع المسلمون الافتراضيون بدور إيجابى ونشط فى تقديم الإسلام للقرن الحادى والعشرين.

صدر من هذه

السلسلة

١ ـ محمد (ص)

٢ ـ صدام الحضارات

٣ ـ عصر الجينات

٤ ـ القدس

٥ ـ العولمة والعولمة المضادة

٦ ـ التاريخ السرى للموساد

٧ ـ من يخاف استنساخ الإنسان؟

٨ ـ حريم محمد على

٩ ـ عولمة الفقر

١٠ ـ صور حية من إيران

١١ ـ البحث عن العدل

١٢ ـ لورانس: ملك العرب غير المتوج

١٣ ـ الصهيونية تلتهم العرب

١٤ ـ معارك فى سبيل الإله

١٥ ـ التطبيع ومقاومة الغزوة الصهيونية

١٦ ـ التسوية: أى أرض.. أى سلام

١٧ ـ المكنز الكبير

١٨ ـ الحق يخاطب القوة

١٩ ـ نساء فى مواجهة نساء

٢٠ ـ مؤامرة الغرب الكبرى

٢١ ـ روسيا.. إلى أين

٢٢- موسوعة الأم والطفل

٢٣- الخدعة الرهيبة

٢٤- نهاية الإنسان

٢٥- خدعة التكنولوچيا

٢٦- ٣٦٥ حتوتة وحتوتة

٢٧- بوش ضد العراق ... لماذا؟

٢٨- أين الخطأ ؟

٢٩- اللولب المزدوج

٣٠- رجال بيض أغبياء

٣١- سادة العالم الجدد

٣٢- الخطيئة الأولى لإسرائيل

٣٣- اللعب مع الصغار

٣٤- الإبادة السياسية

٣٥ - حكومة العالم السرية

٣٦ - ما بعد الإمبراطورية

٣٧ - بوش في بابل

٣٨ - المقاومة العراقية.. ومستقبل النظام الدولى

٣٩ – تزييف الوعى

٤٠– القانون فى خدمة من ؟

٤١ ـ كفى

٤٢ – معنى هذا كله

٤٣– حياة بلا روابط

٤٤ – ٣٦٥ حدوتة وحدوتة

٤٥– أنا والعولمة .. عالم بديل ممكن..

٤٦– جسدى سلاحاً

٤٧– ثالوث الشر

٤٨– الحضارة الإسلامية المسيحية

٤٩– أمـــريكا العظمى.. أحـــزان الإمبراطورية

٥٠– الطَّريقُ إلى السُّوبَرْمَان

٥١– مدربون على القتـل

٥٢– معاداة السامية الجديدة

٥٣– إبادة العالم الثالث

٥٤– بيولوچيا الخوف

٥٥– لغز اسمه الألم

٥٦– تعليم بلا دموع

٥٧– أحمد مستجير

٥٨–العين بالعين

٥٩– شاڤيز

٦٠– قصص الأشباح

٦١– حزب الله

٦٢– الإنسان هو الحل

٦٣– السيارات المفخخة

٦٤– بلاكووتر

٦٥– حضارتهم وخلاصنا

٦٦– نحو الحرية.. نلسون منديلا

٦٧– العهد

٦٨– مزرعة الحيوانات

٦٩– أطفال الإنترنت

٧٠– لعبة الملايين

٧١– تجارة الجنس

٧٢– الأمريكى الساذج

٧٣– الأبرياء

٧٤– الشباب والجنس

٧٥ – التربية من عام إلي عشرين عام

٧٦– فلورانس وإداورد

٧٧- الجهاد في سبيل الحقيقة

٧٨- غاندي (٢)، رؤي، تأملات، اعترافات

٧٩- شرف البنت

٨٠- الزواج المحرم

٨١- أنبياء مزيفون

٨٢- إمبراطورية العار

٨٣- اختطاف أمريكا

٨٤- شريعة الجستابو

٨٥- رومانسية العلم

٨٦- اختفاء فلسطين

٨٧- من هم إسرائيل

٨٨- ثلاثون كتاب في كتاب

٨٩- اقتصاد الاحتيال البرىء

٩٠- الله.. لماذا؟

٩١- الأمراض المعدية

٩٢- الطريق إلي بئر سبع

٩٣- مجمع الشيطان

٩٤- فى ذكرى المقاومة

٩٥- خطابا تحرير المرأة

٩٦- دساتير من ورق؟

٩٧- صُناع الملوك

٩٨- صناعة الأكاذيب

٩٩- عندما تحكم الصين العالم

١٠١- الحركة العامة للاقتصاد المصرى فى نصف قرن

١٠٢ - رحلة السندباد

١٠٣- وجه أوباما الأبيض

١٠٤- تشى چيڤارا سيرة للنشء

١٠٥- أنا أقترض.. أنا موجود

١٠٦- قصة فيس بوك

١٠٧- غواية الرجال

١٠٨ - تأثير إيران ونفوذها فى المنطقة

١٠٩ - المعرفة فى خدمة الهيمنة

١١٠- البيتلز «سيرة للنشء ٣»

١١١- أسامة بن لادن «سيرة للنشء ٤»

١١٢- «كاليجولا» مسرحية من ٤ فصول

قائمة المحتويات

مقدمة الترجمة: ٧

مقدمة المؤلف: ٢٧

الفصل الأول: تحديد موقع الإسلام فى الفضاء السيبرى..... ٣٧

الفصل الثانى:الدخول إلى البيئات الإسلامية السيبرية..... ١٠٥

الفصل الثالث: فك شفرة المقدس: شفرة المصادر الإسلامية..... ١٤١

الفصل الرابع: عالم المدونات الإسلامية ٢١١

الفصل الخامس: آخر منجزات الجهاد العسكرى فى الفضاء السيبرى.... ٢٨١

الفصل السادس: ساحات القتال الجهادية الرقمية العراق وفلسطين ٣٧٣

الخاتمة: تحول البيئات الإسلامية السيبرية ٤١٩